الرجل الحديدي

محمود سالم

الرجل الحديدي

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الرجل الحديدي

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٢٥٧٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الهجوم على المقر السرِّي!	١١
مفاجأة من القاهرة!	١٧
«أحمد» في فخ العصابة!	٢٣
من مصيدة إلى مصيدة!	٢٩
الشياطين في مأزق!	٣٥
«بو» ... الرجل الحديدي!	٤١
هل نُسف المقر السري؟	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الهجوم على المقر السرِّي!

لم تمرَّ دقائق حتى كان الشياطين الـ «١٣» جميعًا في المقر السري، كانت هناك رسالة عاجلة قد وصلتهم، فانطلقوا بسرعة، ورغم أنهم حاوَلُوا في البداية أن يعرفوا سر الرسالة إلا أن أحدًا منهم ... لم يَستطِع الوصول إلى السر ... أخذوا جميعًا أماكنهم. وتعلقت أبصارهم بتلك الشاشة الكبيرة التي تَظهر عندما يشرح لهم رقم «صفر» خطة ما. كان الصمتُ يَملأ المكان ... طالت فترة الصمت ... حتى إن الشياطين بدءوا يَنظُرون إلى بعضهم. لكن فجأة ... جاءهم صوت رقم «صفر» يقول: لا تتعجَّلوا. إننا أمام موقف جديد علينا. أرجو أن تأخذوا راحتكم ... حتى أعود إليكم! كما أرجو ألا يُغادر أحد منكم مقعده.

وبعد قليل أضاء رقم «صفر» الشاشة الكبيرة أمام الشياطين، فظهرت خريطة مضيئة ... قال رقم «صفر»: هذه خريطة لمدينة باريس ... لقد اغتيل عميلُنا في فندق «باريس» الذي يقع في شارع «سان ميشيل» بالقُرب من المركز الثقافي المصري ... ولا يَزال البوليس الفرنسي يُحاول الوصول إلى الذين نفَّذوا العملية.

ثم قال رقم «صفر»: إنني أعرف أن «أحمد» يُفكِّر في أجهزة التنصُّت المتحرِّكة، إن لديَّ تقريرًا عنها ... تلك الأجهزة التي تُشبه «الخنافس» والتي تتحرك في الليل، تتسمع لأي إشارة لا سلكية في منطقة محيطها عشرة كيلومترات.

نظر الشياطين إلى بعضِهم، وتَركَّزت أنظارهم على وجه «أحمد» فترة، وقال رقم «صفر»: نعم. لقد تعامل «أحمد» مع تلك الأجهزة في مغامرة سابقة. لكنه تركها، عندما اتجه إلى الهند، في مغامرة «الجزيرة الذهبية» ... إنَّ المعلومات التي كتبها «أحمد» كانت في غاية الأهمية ... ولذلك فهي المفتاح الذي نجعله أملنا الآن.

مرةً أخرى أضيئت الإشارة الصفراء، وعرف الشياطين، أن هناك رسالة جديدة. قال رقم «صفر»: هناك رسالة قد تُضيف إلينا معلومات جديدة!

ابتعدت خطوات رقم «صفر». وغرق الشياطين في التفكير ... إن وصول رسائل كثيرة بهذا الشكل يعني شيئًا واحدًا؛ أنَّ الموقف خطير جدًّا ... وأنَّ العملاء في كل مكان يعملون بلا توقف.

قال «أحمد»: أظن أننا لن نَبتعِد هذه المرة كثيرًا. فمعنى أنَّ عصابة «سادة العالم» تتجه إلينا في المقر السري أنَّ منطقة العمل ستكون في منطقة محدَّدة. تؤكِّد ذلك أجهزة التنصُّت المتحرِّكة، التي التقَيت بها ... أنها كانت في الطريق إلى المقر السري.

تحرك «مصباح» من كرسيه، وابتسمت «زبيدة»: إن معنى كلام «أحمد» أن منطقة العمل سوف تشمل مساحة واسعة من الصحراء.

نظر «أحمد» إلى الشياطين وابتسم قائلًا: إنَّني أعرف فيما يفكر «مصباح» الآن!

ضحك «مصباح» وهو يقول: إنني أُوافقك، أظنُّ أن «زبيدة» تُفكِّر أيضًا نفس التفكير!

اقتربت أقدام رقم «صفر» فأنصت الشياطين ... كانت الخريطة المضيئة لا تزال تلمع أمامهم ... جاءهم صوت رقم «صفر»: أيها الأصدقاء، إنَّ الأحداث تجري بأسرع مما كُنا نتوقع ... لقد اختُطفَ عميل لنا في ... «موريتانيا»، وهذا يعني أيضًا ... أن عصابة «سادة العالم» تقترب منَّا بسرعة!

تغيرت الخريطة وظهرت خريطة أخرى لأفريقيا ... ثم بدأت الأسهم المتحركة تتنقل على الخريطة. وقال رقم «صفر»: إن الأسهم تُشير إلى هذه الأماكن، التي نتوقَّع أن يدور فيها الصراع. إنها منطقة شمال أفريقيا كلها ... ثم امتدادها إلى الجنوب والغرب. إنَّ اللون الأخضر أمامكم، يبين لكم المنطقة بوضوح.

سمع الأصدقاء صوت أوراق تُقلَّب، ثم قال رقم «صفر»: إنَّ لديكم معلومات سابقة عن بعض أفراد العصابة.

فجأة انطفأ النور. لم يتحرك أحد من الشياطين؛ فقد جاء صوت رقم «صفر» سريعًا: لا تهتموا. إنها إجراءات أمن ... سوف يعمل المولِّد الكهربائي الخاص بقاعة الاجتماعات فورًا.

لم تمضِ لحظة، حتى أضيئت القاعة ... غير أن الإضاءة لم تكن قوية ... لكن الخريطة كانت مضيئة تمامًا.

قال رقم «صفر»: إن المعلومات لدينا تؤكِّد أن حركة العصابة سوف تبدأ من دولتين بالتحديد «المغرب» و«موريتانيا» ... وهناك اتِّصال بيننا وبين أجهزة الأمن في الدولتين حول حركة العصابة ... لكن هذا لا ينفي ضرورة رصد أي حركة في الدول المجاورة. على

هذا، سوف يقوم «أحمد» و«عثمان» و«هدى» و«بو عمير» و«مصباح» و«زبيدة» بالمهمَّة ... سوف يعود كل واحد إلى بلده ... ويقوم بتحرُّكاته من هناك ... وسوف يكون «أحمد» همزة الوصل بين ... الجميع ... أما باقي الشياطين فسوف يظلون في المقر السري، مع دوريات ليلية حوله.

صمت رقم «صفر» قليلًا ثم قال: والآن، عليكم أن تسألوا أية أسئلة.

لم يتوقع الشياطين الجملة الأخيرة، ولذلك، فإنهم صمتوا فترة، حتى إن رقم «صفر» سأل: أليست لديكم أسئلة؟ قد تكون الفترة قصيرة، وعلى ذلك سوف أمنحكم نصف ساعة راحة، تعقدون فيها اجتماعًا بينكم، ثم نلتقي هنا مرة أخرى.

أُطفِئت الخريطة وسُمِعت أقدام رقم «صفر» تَبتعِد، نظر الشياطين إلى بعضهم، ثم بدءوا يتحركون خارج القاعة.

كان الظلام خارج القاعة يُحيط بكل شيء ... حتى إن الشياطين توقفوا قليلًا يُفكِّرون، إلا أنَّ «أحمد» تقدم خطوة عند باب القاعة، ثم داس على زرٍّ خفي في الأرض. فأضيئت الطرقات ... ابتسم «أحمد» وهو ينظر إليهم قائلًا: هل نسيتم خريطة المكان.

لم ينطق الشياطين ... كان من الواضح أنهم نسوا كل شيء، إلا التفكير في المغامَرة الجديدة. تحرَّك الجميع إلى الخارج. قال «أحمد»: الاجتماع في القاعة الصُّغرى بعد ربع ساعة. وبعد انتهاء المدة التي قضاها الشياطين في التجوُّل اتَّجهوا إلى القاعة الصغرى في نهاية الدهليز.

كان «أحمد» يجلس إلى مكتب صغير، وأمامه عددٌ من الدوسيهات ... يقلب فيها حتى إنه لم يرفع رأسه ليرى من دخل أولًا.

جلسوا جميعًا في شبه حلقة ... نظر إليهم «أحمد» ثم ابتسم قائلًا: لا أظن أنها مغامرة مُخيفة. صحيح أنها خطيرة ... ولكنَّها لا تُخيف الشياطين.

ابتسمت «زبيدة» وقالت: نحن لسنا خائفين ... إن المسألة فقط هامة.

أحمد: إذن علينا أن نقدم تصوُّراتنا ...

صمت «أحمد» قليلًا ثم قال: إنني سأطرح أمامكم تصوُّري للموقف. نظر الشياطين إليه ... سحب ورقة صغيرة من أحد الدوسيهات ثم قال: إنَّ هذا كشفٌ بأسماء الأعضاء الذين قُبض عليهم من عصابة «سادة العالم» في مغامرة سابقة، وهذه الأسماء ليسَت هي كل العصابة طبعًا. فهناك أعضاء كثيرون في أماكن كثيرة ... متباعدة. لكن من المؤكد أن أسلوب عملهم يتشابه إلى حد كبير. أستطيع أن أتصور الآتي: اغتيال عميل في «باريس»، ثم

خطف عميل آخر في «موريتانيا» هذا يعني أن المعلومات التي تحت أيدي العصابة هامة، وربما كافية، واغتيال عميل «باريس» قد يكون بسبب عدم استطاعتهم خطفه ... وربما أيضًا إشارة منهم إلى رقم «صفر» بأن العصابة ستضرب بقوة ... وهذا تهديد مباشر ... ثم خطف عميل «موريتانيا» إنه يعني أن العصابة تستطيع عمل أي شيء، وأنها على بُعد خطوات من المقر. لا أعني خطوات بالقدم، ولكن أعني أنها قريبة ... إن رقم «صفر» أعطانا حرية أن نتصرَّف ... إنني أقترح أن تُكوَّن مجموعات عمل، في كل منطقةٍ مجموعةٌ ... وتبقى مجموعة في المقر السري، ما رأيكم؟

قال «عثمان»: إنَّني أوافق وإن كنت أعتقد أن لا داعي لبقاء أحدٍ منَّا في المقر؛ فالحراسة الإلكترونية ورجال رقم «صفر» يَكفُون.

إلهام: إنني أقترح أن نبدأ باقتراح رقم «صفر»؛ كل واحد يذهب إلى بلده، ويحاول جمع المعلومات، ثم نلتقي هنا بعد يومين.

قيس: هذه أيضًا فكرة طيبة ... ويُمكن أن نُنفِّذ الفكرتَين معًا ... تتكون مجموعة العمل من اثنين ... ويكون اللقاء بعد يومين.

خالد: إنني أؤيد فكرة «قيس» ...

أحمد: إذن نأخذ الأصوات على أي اقتراح سوف نبدأ العمل. من يوافق على اقتراح «قيس» يرفع يده.

ارتفعت الأيدي كلُّها تؤيد اقتراح «قيس» ... ابتسم «أحمد» وقال: إذن، ننفذ الاقتراح، والآن هل هناك أسئلة يمكن أن نُناقشها قبل أن نعود لاجتماع رقم «صفر»؟

لم يكد «أحمد» يَنتهي من سؤاله حتى تغيَّرت الإضاءة إلى اللون الأزرق. قال «أحمد»: إنَّ رقم «صفر» يدعونا إلى الاجتماع. هيا بنا.

أسرع الشياطين إلى قاعة الاجتماعات الرئيسية ... وأخذُوا أماكنهم ... لم تمضِ لحظات حتى كانت خطوات رقم «صفر» تَقترِب ... وعندما استقرَّ في مكانه قال: لقد وصلَت معلومات جديدة، سوف تُفيدكم تمامًا. ومنها يُمكن أن يبدأ عملكم!

صمت رقم «صفر» قليلًا ثم قال: إن الأعضاء الجدد في عصابة «سادة العالم» والذين يقودون المعركة ضدنا، ثلاثة ... «كولدر» وهو في حدود الخامسة والأربعين، هادئ تمامًا، وربما لهذا يُسمُّونه «كولدر» وهو خبير في الإلكترونيات. يميزه شيء ملفت للنظر؛ أن عينه اليُسرى مصابة بحالة عصبية. الثاني: «مودست» وهو رجل متقلِّب المزاج ... يُدخن البايب في بعض الأوقات ثم يدخن السيجار في أوقات أخرى ... ويُدخِّن السجاير في أوقات ثالثة،

يضحك دائمًا. ودائمًا أيضًا يضع يده في حزام بنطلونه، ذكي تمامًا، أصلع، قصير القامة. وإن كان ماهرًا في ألعاب الكاراتيه وقد مثل بلاده رسميًّا ... حتَّى إنه حصل فيها على جائزة «الحزام الأسود» ... الخطة الموضوعة ... هي نسف المقر السرِّي، بمجرد التوصل إليه، وهذا طبعًا ليس مسألة سهلة ... ولكن إذا كان عميلنا في «موريتانيا» قد تكلم تحت أي ضغط، فمن الممكن أن يَعرفُوا منه الشفرة ...

وسكت رقم «صفر» قليلًا، ثم قال: لهذا فقد تغيرت أرقام الشفرة السرية عندنا ... وسوف تأتيكم مكتوبة ... عليكم أن تقرءوها ... ثم تحرقُوا الأوراق كالعادة.

أسرعت «زبيدة» بالسؤال: ما هو تقديرك للموقف؟

رقم صفر: من الصعب تحديد الموقف فلسنا نعرف كمية المعلومات التي لديهم.

صمت الجميع وسأل رقم «صفر»: هل من أسئلة أخرى؟

انتظر قليلًا، فلم يسأل أحد فقال: لقد تركت لكم حرية اختيار الطريقة التي تبدءون بها عملكم ... فقط أعطوني خطة التحرُّك قبل خروجكم من المقر ... تحياتي!

مفاجأة من القاهرة!

قال «أحمد» ... أظن أنَّنا يَجب أن ننام بسرعة ... فلسنا ندري متى ننام مرة أخرى. وفي الصباح، يُمكن أن نقول كلماتنا الأخيرة على الإفطار.

انصرف الشياطين كلٌّ إلى حجرته ... ولم يَسهر منهم أحد سوى «أحمد» الذي أحضر ورقًا وقلمًا، وجلس يُكوِّن مجموعات العمل.

«عثمان» و«هدى» في «السودان» ... «بو عمير» و«إلهام» في «الجزائر» ... «مصباح» و«خالد» في «ليبيا» ... «زبيدة» و«فهد» في «تونس» ... «ريما» و«قيس» في مصر ... «باسم» و«رشيد» للبقاء في المقر السري.

طوى «أحمد» الورقة التي كتب عليها المجموعات. لحظة ثمَّ سمع دقات جهاز الاستقبال أسرع إليها ... وبدأ يتلقى إشارة داخلية، كانت عبارة عن الشفرة الجديدة، وعلى طريقة «التيكرز» طُبعت الشفرة ثلاث عشرة نسخة. وعندما انتهت تمامًا حملها «أحمد» ومن خلال ممر هوائي يربط بين حجرات الشياطين، أرسل «أحمد» نسخة إلى كل واحد في حجرته.

جلس يقرأ الشفرة ويعيدها مرات، حتى استوعبها تمامًا. ثم أحرقها تمامًا، وألقى بنفسه في السرير ... فاستغرق لتوِّه في النوم.

كان واضحًا أن الأيام القادمة سوف تكون مشحونة تمامًا ... فعصابة «سادة العالم» ليست ككل العصابات ... إنها منتشرة في كل بلاد الدنيا، ولها أعمال إجرامية كثيرة ... ولهذا فإن الصراع معها لن يكون بسيطًا. كل هذا جعل «أحمد» يستيقظ في الليل نظر في ساعة يده ... كانت الساعة حوالي الرابعة صباحًا. امتلأ بالدهشة؛ فهذه أول مرة ... يستيقظ فيها في مثل هذه الساعة ... أو يصاب بالأرق ... في النهاية قام إلى الحمام وأخذ دشًّا ساخنًا، ثم عاد إلى سريره. لكنه لم يستغرق في النوم. لقد ظلَّ يفكر في عمل الصباح.

سوف ينطلق الشياطين. كلٌّ في اتجاهه، وهو سيكون همزة الوصل بينهم جميعًا، ولهذا فإنه سوف يتعرَّض لجهد مُضاعَف هذه المرة. ظلَّ يفكر في الأسماء الثلاثة التي ذكرها رقم «صفر» «كولدر» و«مودست» و«شل». وبدأ رأسُه يدور، فذر إن النوم قادم. لكنه لم ينم. ينبغي أن يمارس رياضة رتيبة تبعث على النوم ... لجأ إلى عد الأرقام واحد. اثنان. ثلاثة. أربعة. ... ظل يعدُّ حتى وصل إلى رقم لم ينطقه ... فقد استغرق في النوم ولم يستيقظ إلا عندما رن جرس داخلي فوق رأسه ... نظر في ساعة يده. كانت الساعة قد جاوزت الثامنة، حاول أن يتذكر ما حدث أمس ... ابتسم ... لقد تذكر آخر رقم نطقه، قبل أن يستغرق في النوم. كان رقم ثلاثة وثلاثين. قفز بسرعة من سريره إلى الحمام، اغتسل واستبدل ملابسه، ثم أسرع إلى حجرة الطعام ... كان الشياطين هناك!

ضحكت «زبيدة» وهي تقول: لقد نمتَ بما يكفي لأن تَستيقظ ثلاثة أيام.

ابتسم «أحمد» قائلًا: صباح الخير أيها الشياطين، لقد كانت ليلة غير هادئة بالنسبة لي ... رغم أن الشياطين لا يَعرفُون الأرق.

حكى «أحمد» ما حدث له أمس، فضحكوا جميعًا ... وبينما كانوا يتناولون الطعام سأل «أحمد»: هل قرأتم الشفرة الجديدة؟

وعرف منهم أنهم قرءوها ... وحفظوها وأحرقوا الأوراق كالتعليمات. قال «أحمد»: الآن. إليكم تنظيم المجموعات.

أخذ يقرأ التكوينات التي وضعها في الليل، ثم قال: سوف أكون بينكم جميعًا وطبعًا، سوف يكون المقر في طريقي دائمًا أعرف فيه المزيد من المعلومات. لهذا. من يصل إلى شيء يرسله إلى رقم «صفر» أولًا بأول.

كان الإفطار قد انتهى. وقف «أحمد» وقال: الآن، يجب أن نبدأ عملنا فورًا. أخذت كل مجموعة طريقها ... بعد أن قال لهم «أحمد»: إننا لن نخرج دفعة واحدة حتى لا نتعرَّض لشيء ... فالحذر ضروري تمامًا ... من الآن.

ركبت كل مجموعة سيارتها، وبقي «أحمد» مع «باسم» و«رشيد» كان يضع تقريرًا ليتركه، حتى يقدمه الاثنان إلى رقم «صفر»، وما إن انتهى من كتابة التقرير حتى قال: تحياتي إليكما! عليكما تنسيق العمليات. خذا حذركما، سوف تجدان معلومات عند رقم «صفر» عن أجهزة التنصُّت المتحرِّكة ... إنها سوف تنفعكم كثيرًا.

تبادلوا السلام، ثم انصرف «أحمد» ركب سيارته، ثم أخذ طريقه إلى أقرب مطار ... ومنه أخذ الطائرة إلى القاهرة ... ومن المطار أخذ سيارةً أخرى، وفي طريق المطار شاهد سيارة «ريما» وقيس فأمسك سماعة اللاسلكي وبدأ الحديث إلى «ريما».

أحمد: سوف نلتقي في مقرِّنا هناك ... لقد قصدت أن أكون وحدي حتى نكون كلاعب الكرة. نهاجم بثلاثة وندافع بثلاثة، مع أننا خمسة فقط.

ضحكت «ريما» وردت: فكرة طيبة. غير أنك سوف تُجهد تمامًا.

أحمد: إننا أمام اختبار قاسٍ ... إذا لم نَنجح فيه ... سوف ينتهي كل شيء ... تحياتي إليكما وإلى اللقاء!

ريما: إلى اللقاء هناك.

داس «أحمد» أكثر على البنزين، فانطلقت السيارة بسرعة أكبر ... حتى إنه تجاوز سيارة «ريما» و«قيس»، وأشار لهما إشارة ضوئية، ثم استمر في الطريق.

كان «أحمد» يفكر في بقية الشياطين ... أين هم الآن؟ وهل يسير كل شيء على ما يرام؟ إنه يعرف أن «مصباح» و«خالد» سيكونان أول من يبدأ العمل؛ فهما أقرب إلى «ليبيا» ... وعليه أن يغوص في شوارع القاهرة ... ثم يبدأ دورة سريعة على فنادق الدرجة الأولى هناك. جولة يتحقق فيها من وجود أحد من هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم رقم «صفر»، ثم يعود سريعًا إلى «ليبيا»، وفي الطريق يُمكن أن يعرف الأنباء عن المقرِّ السري، وجولته في القاهرة فقط لتأمين تحرُّكات «ريما» و«قيس».

كان الطريق أقل ازدحامًا من مرات كثيرة قطعها «أحمد»، وربما لأن الوقت قبيل الظهيرة. وهي ساعة يقلُّ فيها عدد السيارات. التي يُفضِّل سائقوها أن يُسافروا إما في الصباح الباكر، أو آخر النهار ... لهذا كانت سيارته منطلقة بأقصى سرعتها. لقد كانت خطته أن يصل وقت الغداء ... حتى يكون النزلاء جميعًا في المطعم.

لم تكد الساعة تدق الثانية عشرة، حتى كان «أحمد» يقف أمام مدير فندق «الشيراتون» أخرج له بطاقته، ثم دار بينهما حديث سريع، أخذ «أحمد» بعدَه طريقه إلى المطعم اختار مائدة يُمكن من مكانها أن يُراقب المطعم كله ... مرَّ بعينيه على المناضد التي كانت مشغولة، ثم طلب مدير المطعم، الذي أتاه مُبتسمًا. سأله «أحمد»: هل النزلاء جميعًا هنا؟ أخرج مدير المطعم كشفًا، مر بعينيه عليه. ثم ابتسم: ليسوا جميعًا ... شكره «أحمد» وبدأ يَرقُب الجالسين.

في خلال عشر دقائق كان قد استوثق من أنه لا يوجد أحد من الثلاثة.

انصرف بعد أن شكر المدير، أخذ طريقه إلى «الهيلتون» ... كان الغداء ما زال يقدم إلى النزلاء ... عرف في النهاية أن هناك عددًا لن يَحضر الغداء لأنهم سوف يتناولونه في منطقة الأهرامات، لأنه وفدٌ سياحي، وسوف يكون الوفد في خيمة عربية. لمشاهدة بعض الفنون الشعبية في سهرة.

انطلق بسيارته إلى فندق «مينا هاوس» كان بعض النزلاء قد انتهى من طعامه وانصرف، ولم يكن مُمكنًا أن يَعرف شيئًا. اتجه إلى استعلامات الفندق، حيث يُسجِّل النزلاء أسماءهم ... فوقف عند اسم معيَّن ينزل وحده ... كان الاسم هو «أنهيلار» عرف رقم جواز سفره وجنسيتَه ... ودوَّنَهما في مفكِّرة صغيرة. قال له موظف الاستعلامات إنه نزل من يومين فقط، وإنه يظهر دائمًا وحده، ويفضل الجلوس حول حمام السباحة، غير أنه يَقضي معظم وقته خارج الفندق ... وأنه قصير القامة ... صامت دائمًا ... ونادرًا ما يتحدث إلى الناس.

كان لا تزال هناك فنادق كثيرة «شبرد» و«كليوباترا» و«جولي فيل» توقف عند اسم «جولي فيل» شعر أنه يُمكِن أن يجد فيه شيئًا ... فالفندق في منطقة منعزلة في طريق «مصر-الإسكندرية» الصحراوي ... أسرع إلى سيارته وانطلق إلى «الجولي فيل». عندما استقرَّت سيارته هناك، اتجه إلى مدير الفندق وبطريقة ذكية عرف كل المعلومات التي يُريدها. هناك اثنان ينزلان معًا، قادمين من إيطاليا وآخر ينزل وحدَه ... ويَحمل جواز سفر أمريكي ... وإن كان معظم النزلاء ينزلون بمُفردهم؛ فمعظمهم من رجال الأعمال.

انصرف «أحمد» ودار دورات سريعة على الفنادق الكبرى، ثم اتجه إلى المقر السري للشياطين — هناك وجد «ريما» و«قيس» كانا يجلسان في حالة قلق. وما إن رأياه حتى قفزت «ريما» مرحبة به. كان يبدو مشغولًا. قالت «ريما»: ينبغي أن تأخذ دشًّا باردًا، حتى تستردَّ نشاطك، واضح أنك مجهد.

ابتسم «أحمد» وهو يُلقي بنفسه في أحد المقاعد ... ثم قال: ولديَّ بعض المعلومات التي جمعتها، سوف أخبركما بها ثم أذهب إلى المطار.

قيس: ينبغي أن تنام قليلًا.

أحمد: سوف أنام في الطائرة.

وقف بسرعة، ثم أخذ طريقه إلى الحمام. قالت «ريما»: يبدو أنه حصل على معلومات هامة.

قيس: سوف نعرف سريعًا.

أسرعت «ريما» تجهز بعض الطعام الخفيف لـ «أحمد» و«قيس» يُساعدها.

وعندما رأى «أحمد» الطعام ابتسم قائلًا: إنني أكاد أهلك جوعًا.

جلس يأكُل بسرعة، ويتحدَّث في نفس الوقت. قال لهما: هناك سهرة في خيمة بجوار «صحارى سيتي» سوف تضمُّ وفدًا سياحيًّا ... ينبغي أن تَذهبا إلى هذه السهرة ... في

فندق «الميناهاوس» هناك نَزيل يَنبغي أن تُراقباه ... اسمه «أنهيلار» أما فندق «الجولي فيل» نحتاج منكم إلى جولة طويلة ... بقية الفنادق، أعتقد أنها ليسَت بذات أهمية، ولكن لا تُهملوا شيئًا.

قيس: هناك فنادق الدرجة الثانية، وفنادق الأحياء الشعبية.

أحمد: هذه أيضًا تحتاج منكما إلى جولة، وأظن أننا نَعرف معظمها، إن لم يكن جميعها.

فرغ «أحمد» من طعامه، أخرَجَ من جيبه عدة ورقات صغيرة، وضعها على المائدة، ثم قال: هذا تقرير سريع عن جولتي في الفنادق. لا تنسَوا إرسال معلوماتكم أولًا بأول إلى رقم «صفر».

أمسك سماعة التليفون، ثم اتصل بشركة الطيران «الليبية» عرف أن هناك طائرة ستقوم بعد ثلاث ساعات، وأن فيها أماكن خالية ... ووضع السماعة وقال: لا يزال أمامي بعض الوقت.

جلس وهو يتمطَّى. قالت «ريما»: ترى ما هي الأنباء في المناطق الأخرى؟

أحمد: سوف أخبركما إذا جدَّ جديد. وعليكما بإرسال إشارات متوالية حتى نكون على اتصال مستمر.

جلس بعض الوقت، ثم وقف قائلًا: أستودعكما الله. تحياتي!

سلَّم عليهما ثم خرج إلى الشارع، ولكنه عاد مرة أخرى، وقال لـ «قيس»: تعال معي، فسوف أترك سيارتي هنا ... وسوف أعود مرةً أخرى.

صحبَه «قيس» و«ريما» إلى المطار.

كانت الساعة تقترب من الرابعة عصرًا ... ودرجة الحرارة مرتفعة نوعًا ما.

غير أن السيارة كانت مكيفة. ظلوا يتذكرون تلك الأيام التي قضاها الشياطين في القاهرة والمغامرات التي دارت في شوارعها ... عندما وصلوا إلى طريق المطار. نظر «أحمد» في ساعته وقال: لا يزال أمامنا بعض الوقت، دعونا نمشَّ على مهل.

أبطأ «قيس» السيارة ... غير أن أحدًا منهم لم يَنطق بكلمة ... وعندما اقتربت السيارة من المطار ... كان يبدو أن طائرة ما ... قد وصلت لتوِّها ... فالازدحام عند باب الخروج كان واضحًا. توقفت السيارة، ولفت نظر «قيس» شخصٌ ما. قال لـ «أحمد»: هل ترى هذا الشاب؟

نظر «أحمد» في الاتجاه الذي يشير إليه «قيس» ثم شرد قليلًا ... وقال: هل تعني «شل»؟

قيس: ألا تظن؟

لم ينزل «أحمد» من السيارة. كان هناك شاب، تنطبق عليه أوصاف «شل» التي ذكرها رقم «صفر» وكان أكثر ما جذب انتباههم، أنه كان يَتفاهم مع أحد سائقي التاكسي ... نزل «أحمد» من السيارة بسرعة، وأخذ طريقه إلى الشاب ... مرَّ من خلفه يستمع ما يقول ... كان الشاب يتحدث اللغة العربية بلكنة أجنبية.

توقَّف «أحمد» في نفس اللحظة التي ركب فيها الشاب التاكسي. وانطلق به. أسرع «أحمد» إلى «قيس» و«ريما» ... وقال لهما: عليكما بمتابعته، من الضروري أن أكمل طريقي ... أنا في انتظار أخبار منكما.

انطلق «قيس» بالسيارة في أعقاب التاكسي الذي لم يكن قد غاب عن عينيه بعد، وأخذ «أحمد» طريقه إلى داخل المطار. متجهًا إلى مكتب الشركة الليبية سأل عن التذكرة فوجدها ... وعرف أن الطائرة لم تصل بعد.

أخذ طريقه إلى صالة المطار ... ثم توقف عند بائع الجرائد ... لكن فجأة تحولت عيناه إلى اتجاه ما. لقد كانت هناك مفاجأة جديدة.

«أحمد» في فخ العصابة!

كان هناك رجل يدخن سيجارة وقد بدا شاردًا تمامًا، لم يكن هذا ما لفت نظر «أحمد»، الذي لفت نظره تلك الحالة العصبية في عينِه اليُسرى. شعر «أحمد» بدقات قلبه تزداد. إذن. القاهرة، هي مركز النشاط. لو أنَّ الشاب الذي تبعه «قيس» هو «شل» ولو أن هذا هو «كولدر» يكون كل شيء قد اتَّضح، وعلى الأقل قد تحدَّدت الأمور. لكن، هل المسألة بهذه السهولة؟ ... أخذ «أحمد» يقترب من الرجل في هدوء ويتظاهر بأنه يُشاهد حركة صالة المطار. أصبح «أحمد» قريبًا جدًّا من الرجل تأكد تمامًا من تلك الحركة العصبية في عين الرجل. أخذ يستعيد بسرعة تفاصيل ما ذكره رقم «صفر» عن «كولدر»، تلك «الحالة العصبية» في حدود الخامسة والأربعين من العمر، نعم. يبدو هادئًا ... نعم أيضًا. هل يكون هو «كولدر»؟ حقيقةً؟ ثم إلى أين يتجه الآن؟ هل سيبقى في القاهرة؟ أو أنه على سفر، إلى مكان ما.

لحظة، ثم تحدث ميكروفون المطار ... ركاب الطائرة المتجهة إلى «لندن»، يتجهون إلى باب رقم «٢»، كان «أحمد» يُراقب الرجل، ليرى وقع هذه الكلمات عليه، استمع الرجل لحظة، ثم انصرف لتأمُّل ما حوله. إذن الرجل، ليس ذاهبًا إلى «لندن» ... كانت هذه فرصة ليعرف إلى أين يتجه الرجل، لكن كان في رأس «أحمد» سؤال هل هو «كولدر»؟

وكيف يتأكد من ذلك، فكر لحظة. إن الوقت المناسب هو وقت الدخول إلى صالة «الترانزيت» التي تؤدي إلى أرض المطار. ظلَّ يراقب الرجل. ويتظاهر في نفس الوقت بقراءة الجريدة التي اشتراها. تردَّد صوت ميكروفون المطار أكثر من مرة. الطائرة المسافرة إلى «باريس». ولم يتحرك الرجل، الطائرة المسافرة إلى «روما» لم يتحرك الرجل. أخيرًا ... قال صوت مذيعة المطار: ركاب الطائرة المتجه إلى «بني غازي» يتوجَّهون إلى أرض المطار. ولم يتحرَّك الرجل. أصيب «أحمد» بخيبة الأمل. هل يذهب إلى «بني غازي» أو يتعقَّب الرجل؟

لم تمض ... لحظة، حتى جاء صوت مذيعة المطار: ركاب الطائرة المتجهة إلى «أثينا» ... يتوجهون إلى أرض المطار ... استمع الرجل باهتمام. بينما المذيعة تعيد تلك الجملة باللغة الإنجليزية والفرنسية ثم أخذ طريقه إلى باب صالة «الترانزيت» ... أسرع «أحمد» إلى ضابط الجوازات، ووقف إلى جواره اقترب الرجل، ثم أخرج جواز سفره، وقدمه إلى ضابط الجوازات. استطاع «أحمد» بسرعة أن يقرأ اسم الرجل، كان اسمه «هيرمان» فكَّر «أحمد» بسرعة من الضروري أن يكون الرجل قد غير اسمه ... وليس من المعقول أن يكون اسمه الحقيقي مثبتًا في جواز سفره. هذه طريقة العصابات ... أن يظهر أفرادُها بأسماء مُستعارة ... كانت مشكلة ... إن أوصاف الرجل هي نفسها تلك الأوصاف التي ذكرها رقم «صفر» ... ما العمل إذن؟

تتبع «أحمد» الرجل إلى أرض المطار، بينما كان ركاب الطائرتين، يتجهون إلى السيارة التي ستقلهم، نادى «أحمد» بصوت مُرتفِع. بينما عيناه على الرجل «مستر كولدر». توقَّف الرجل لحظة. ثم استمرَّ في طريقه. كانت هذه اللحظة كافية لأن يتأكَّد «أحمد» أن هذا الرجل هو نفسه «كولدر». أخذ طريقه بسرعة إلى كابتن الطائرة، وتحدَّث إليه حديثًا سريعًا.

قال الكابتن: سوف نرى. قد يتخلف أحد.

استقر الركاب في الطائرة المتجهة إلى «أثينا» ... وبدأ الكابتن يَحصُر الركاب، كانوا جميعًا في أماكنهم، ولم يتخلَّف أحد، قال «أحمد»: ألا توجد طريقة؟

الكابتن: سنجد طريقة.

دخل «أحمد» إلى كابينة القيادة، حيث يوجد طاقم الطائرة ... لم يكشف الموقف لأحد. ظلَّ بين كل لحظة وأخرى. يَخرُج ليمرَّ بين المقاعد في محاولة لرصد «كولدر». في النهاية ... تحركت الطائرة.

وعندما بدأت ترتفع ... نظر «أحمد» من نافذة الطائرة. كانت تتباعد تفاصيل المطار وتبدو القاهرة كلوحة قديمة نادرة. وعندما استوت في مسارها، عاد إلى خارج الكابينة ... وألقى نظرة سريعة على «كولدر» كان يجلس مُمددًا، وقد أغمض عينَيه لكنه لم يكن نائمًا. فتلك الحركة العصبية. كانت تحدث بين لحظة وأخرى، وهذا ما يؤكد لـ «أحمد» أن «كولدر» مستيقظ.

وفي كرسي قريب من كابينة الطائرة. استغرق «أحمد» في التفكير. كان يفكر في «ريما» و«قيس» وذلك الشاب الذي قابلوه في مطار القاهرة. ويفكر في مجموعات العمل

التي خرجت إلى أماكن كثيرة، مختلفة ... إن المفروض أن يكون الآن في المقر السري ... ليعرف ماذا حدث. لكن، ها هو الآن ... داخل مغامرة، لا يدري نهايتها لم يمضِ وقت طويل، حتى استغرق في النوم.

نظر كابتن الطائرة إليه، ثم ابتسم. غير أنه تركه مُستغرقًا في نومه.

وعندما كانت الطائرة تقترب من مطار «أثينا»، اقترب «الكابتن» من «أحمد» ثم هزه برفق ... استيقظ «أحمد» فزعًا ... فرأى ابتسامة «الكابتن» ابتسم وهو يقول: يبدو أنني كنتُ مُجهَدًا. لا بأس.

الكابتن: إنَّ الطائرة مكان يجلب النوم على كل حال.

تذكر «أحمد» «كولدر» خرج بسرعة إلى الطائرة كان «كولدر» ينظر من النافذة التي كانت قريبة منه. جاء صوت مذيعة الطائرة: نرجو أن تربطوا الأحزمة، إننا سنهبط بعد قليل.

بدأ الركاب يربطون أحزمة الكراسي، ودخل «أحمد» إلى الكابينة، لم تمض ربع ساعة حتى شعر «أحمد» بالطائرة تدور ... نظر من النافذة، فشاهد أضواء مطار «أثينا»، هذه ليست أول مرة يهبط فيها هنا ... فقد هبط في مرات سابقة ...

كانت أضواء المطار تلمع ... كعقد من اللؤلؤ ... استغرق في التفكير ... ما هي الخطط القادمة؟ من المؤكد أن «كولدر» سيجد أحدًا في انتظاره ... تردد «أحمد» قليلًا ربما لا يكون هناك من ينتظر «كولدر» إنه يستطيع أن يستقل تاكسيًا، وعلى ذلك فلا بد أن يتبعه. تحسَّس حزام بنطلونه، واطمأن إلى الأسلحة السرية التي يحملها؛ إنه هنا سوف يتعرَّض لمعارك مؤكدة.

لحظة ومست عجلات الطائرة أرض المطار ... اقترب الكابتن من «أحمد» ثم سأله: هل من خدمة أؤديها لك؟

شكره «أحمد» ... ثم حيَّا طاقم الطائرة، وأخذ طريقه إلى باب النزول ... كانت الطائرة قد استقرت نهائيًّا على الأرض. وفُتح الباب، فاقترب سلم النزول ... نزل «أحمد» بسرعة في مقدمة الركاب ... كان يريد أن يعطي نفسه فرصة ... حتى لا يغيب عنه «كولدر». نظر بطرف عينه ... كان «كولدر» ينزل درجات السلم متمهلًا. كان وقوف الطائرة قريبًا من صالة «الترانزيت» فمشى الركاب إليها ... كان «أحمد» حريصًا على ألا يفارق «كولدر» لكن ... فجأة ... تقدم أحد الرجال واصطدم بـ «أحمد» ثم قال: معذرة، إن عيني اليمنى ضعيفة حتى إنني لا أرى أمامي جيدًا. كان الرجل يلبس نظارة سوداء، فردَّ «أحمد»: لا بأس.

ثم استمر في سيره ... غير أن «كولدر» كان قد اختفى ... تمامًا. أسرع «أحمد» إلى باب الخروج ... سأل الضابط الواقف على الباب، إن كان أحد قد خرج، عرف أن أحدًا لم يخرج بعد، وقف «أحمد» بجوار الضابط يرقب الخارجين. حتى خرج الركاب جميعًا، غير أن «كولدر» لم يظهر.

أسرع «أحمد» يبحث عن ذلك الرجل الذي اصطدم به.

لقد تأكَّدَ أنه أحد أفراد العصابة، وأنه يعرفه أيضًا وإلا ... فلماذا تعمَّدَ الاصطدام به؟ فجأةً ... اقترب منه رجل. وقال: زهرة! ابتسم «أحمد» ومد يدَه مُحييًا. لقد عرف أنه تابع لرقم «صفر» فقد كانت هذه كلمة السر ... حكى بسرعة للرجل ما حدث ... ابتسم الرجل وقال: اسمي «كاريللو» ... هيا بنا ... لا تَشغل بالك!

خرج «أحمد» مع «كاريللو» قال: أظن الرحلة كانت شاقة بالنسبة لك، خصوصًا وأنك لم تَسترِح في الطائرة.

أحمد: لقد تعوَّدتُ ذلك.

كاريللو: ألم تصلك أنباء عن «شل»؟

أحمد: حتى الآن. لا ... لكن، إذا كان هو حقًّا ... فإن الأنباء سوف تصلني سريعًا.

انطلقت ضحكة عالية من سائق السيارة التي يَركبانها. توقف «أحمد» لحظة ينظر إلى كليهما. شعر أن الدنيا تدور به؛ فمن غير المعقول أن يقع بهذه البساطة. كانت السيارة تنساب على الأسفلت ... في رقة ... وكان يبدو أن السرعة ليست عالية ... فكر «أحمد»: هل أكون قد وقعت في أيدي العصابة؟ هل «كاريللو» عضو فيها؟

قال «أحمد» بعد لحظة: الجو رائع الليلة.

ضحك «كاريللو» ضحكة ساخرة ... ثم قال: نعم ... إنها ليلة رائعة ... خصوصًا وأنك معنا.

ألقى «أحمد» نظرة إلى الشارع ... كان الهدوء يسيطر على كل شيء. لم يكن يفكر ... لقد ترك كل شيء للتصرُّف الوقتي. إن كان «كاريللو» فردًا من العصابة فسوف تبدأ المشاكل ... وإن كان من رجال رقم «صفر» فسوف تكون الأمور على ما يرام.

مرت لحظات ثقيلة، ثم انحرفتِ السيارة في هدوء، في ممرٍّ جانبي من الشارع بين حدائق واسعة ... استطاع «أحمد» أن يرى بعض تفاصيلها تحت أضواء السيارة.

فجأة نظر إلى «كاريللو» قائلًا: هل جاءتك رسالة ما؟

ضحك «كاريللو» ضحكة صفراء وقال: الرسائل كثيرة هل تريد بعضًا منها؟

نظر له «أحمد» في دهشة قائلًا: ماذا تعني؟

كاريللو: إن الرسائل تصل إلينا كثيرًا هذه الأيام ... أنت تعرف بالتأكيد أن المهمة خطيرة. وهذا ما يجعل الرسائل ... كثيرة.

لم يفهم «أحمد» شيئًا ... غير أنه بدأ يتأكَّد أن الموقف غير طبيعي ... وأن عليه أن يتلمس الأمور ... نظر إلى «كاريللو» قائلًا: مستر «كاريللو» ... هل نحن في الطريق إلى المدينة؟

كاريللو: نعم ... لكنها ليست «أثينا» بالتأكيد ... هذه مدينة خاصة.

أبدى «أحمد» دهشةً تمثيلية، ثم قال: مدينة خاصة، لا بد أنها مدينة جديدة.

كاريللو: ليست جديدة تمامًا. إنها قديمة نوعًا. وأظن أنك سوف تراها لأول مرة، وربما للمرة الأخيرة.

أحمد: الأخيرة ... كيف؟ أليست هذه مدينة تابعة لنا؟

كاريللو: نعم ... إنها تابعة لنا نحن.

أحمد: ماذا تقصد؟

ابتعد «كاريللو» حتى نهاية المقعد، ثم نظر إلى «أحمد» قائلًا: إنني أعرف أنك متأكِّد تمامًا مما أقول ... وتعرف بالضبط موقفَك. الآن ... إنك أذكى كثيرًا مما تدَّعي ... لكن يبدو أن ذكاءك قد فاتَكَ هذه اللحظات. المسألة لن تطول ... بعد قليل سوف تعرف كل شيء.

أحس «أحمد» بضيق شديد ... لقد أيقن أخيرًا أنه وقع في فخِّ العصابة ... وأن عليه أن يتصرَّف.

كانت هناك أضواء بعيدة تلمع ... أيقن «أحمد» أنها المكان الذي سوف يراه. تلك المدينة الجديدة؛ لأن السائق قال: كم هي مضيئة مدينتنا؟

فكر «أحمد» قليلًا ثم بدأ حديثًا مع السائق. كان يريد أية معلومات جديدة ... يمكن أن تفيد ... سأل السائق: هل الصيد مباح في المدينة؟

تجهَّم السائق قليلًا ... ثم بدأت ملامح وجهه تلين وقال: الصيد؟ أي صيد تعني؟

أحمد: الطيور طبعًا.

السائق: وما الذي يمنعها؟

أحمد: إنني أسأل فقط ... ذلك لأنني أفكر في رحلة صيد في الصباح؟

نظر بسرعة إلى وجه «كاريللو» ... كان يبدو شمعيًّا ... لا يَحمل أي انفعال. أكمل «أحمد»: هل تحب الصيد؟

السائق: أحبُّ صيد السمك ... هل تحبه؟

أحمد: نعم ... لكن، هل أماكن الصيد قريبة من المدينة؟

ابتسم السائق قائلًا: إننا متَّجهُون إلى شاطئ البحر. فالمدينة كلها تقع على الشاطئ ...

نظر «كاريللو» إلى السائق، والتقت أعينهما من خلال مرآة السيارة الأمامية.

صمت السائق. فنظر «كاريللو» إلى «أحمد»: إن رحلة الصيد تكون ممتعة، عندما يجتمع بقية الشياطين.

شعر «أحمد» بأن قلبه يكاد يقع بين جنبَيه ... إنَّ هذه مفاجأة ... فهل هناك من يعرف الشياطين، سوى رقم «صفر»؟

فكَّر «أحمد»: لا بد أن العصابة تعرف عنَّا كل شيء، ويبدو أن «كولدر» و«شل» عبارة عن طعم لنا، من يَدري ... قد أجد «ريما» و«قيس» في انتظاري داخل بيت من بيوت تلك المدينة. وأرى معهما «شل»، لكن كيف عرف «كاريللو» كلمة السر؟

كانت هذه مسألة هامة. فإما أنه حصَل عليها ... بعد خطف عميل رقم «صفر» في «موريتانيا» أو قبل اغتيال العميل في «باريس».

هكذا ظل «أحمد» يُفكِّر بينما السيارة تسير في هدوء، بين حدائق بلا نهاية.

فجأة ... أطفأت السيارة أنوارها ... واتجه إلى طريق جانبي ضيق ... ثم توقفت صرخ: ماذا حدث؟

أجاب السائق: أشكُّ في أن أحدًا يتبعنا.

بهدوء شديد. سأل «أحمد»: ولماذا يتبعنا أحد؟ هل هناك شيء هام؟

كشر «كاريللو» عن أنيابه التي ظهرَت تحت الأضواء الآتية من بعيد، ثم قال لـ «أحمد»: إلى متى تُحاوِل أن تبدو وكأنك لا تفهم شيئًا؟

نظر «أحمد» إليه بدهشة. لكنه بسرعة حاول أن يبدو هادئًا وسأل: هل انحرفنا عن الطريق الرئيسي، أو أنَّ هذا طريقنا؟

لم يردَّ عليه أحد. لكنه فجأة شعر بدقات الجهاز السري الذي يحمله، فعرف أنها رسالة من أحد الشياطين، وكانت هذه الرسالة هي بداية المعركة الحقيقية.

من مصيدة إلى مصيدة!

لم يَستطِع أن يفعل شيئًا. إن «كاريللو» بجواره. وهو لا يستطيع أن يُظهر الجهاز أمامه ... غير أن ذلك طمأنه كثيرًا. إنَّ معنى إرسال مثل هذه الرسالة أنَّ أحد الشياطين يعرف أين هو، ويعرف الموقف الذي فيه. قال «كاريللو» للسائق: عُدْ إلى الطريق الرئيسي، ثم انطلق بسرعة ...

في لمح البصر كان السائق. يعود بالسيارة بطريقة عنيفة، جعلت «أحمد» و«كاريللو» يهتزَّان بعنف؛ حتى إنهما اصطدما معًا.

وكانت هذه فرصة «أحمد»؛ ففي نفس اللحظة التي استعدَّت فيها السيارة للانطلاق فوق الطريق الرئيسي، وأبطأت سرعتها تمامًا ... كان «كاريللو» ما زال يتأرجَح في مكانه ... فتح «أحمد» الباب بسرعة، ثم ألقى بنفسِه وهو يَضرب «كاريللو» بقدمه في بطنه ضربة جعلته يتأوه صارخًا: «دينو» ... اقفز خلفه!

غير أنَّ «أحمد» كان قد اختفى في الليل. صرخ «دينو»: اظهر أيها الشيطان وإلا ... اضطررتُ لإطلاق الرصاص عليك! ابتسم «أحمد» في مكانه. لقد كان قريبًا تمامًا من «دينو». في نفس اللحظة، سمعَ صوت «كاريللو» مُتألِّمًا: هل معك بطارية؟ فرد «دينو»: نعم ... في السيارة.

كاريللو: هاتِها بسرعة، ثم عُد وأضئ فوانيس السيارة كلها على المكان الذي قفز فيه ... إننا لن نستطيع العودة بدونه.

أسرع «دينو» إلى السيارة، وأحضر البطارية، وأعطاها إلى «كاريللو» ... ثم عاد واتجه بالسيارة إلى نفس المنطقة التي قفز فيها «أحمد» ... زحف «أحمد» بسرعة مُبتعدًا ... بينما كانت أضواء السيارة تكشف المنطقة التي ابتعد عنها. كان «كاريللو» يقترب من المكان الذي زحف إليه، يسبقه ضوء البطارية ... وكان واضحًا أن أيَّ حركة يقوم بها سوف

تَكشِف مكانه. أخرج «أحمد» مسدَّس الإبر المخدِّرة ... ثم أطلق واحدة في اتجاه «كاريللو» فأصابته في عنقِه. توقف «كاريللو» قليلًا بينما «أحمد» يراقبه ... كان يبدو أن المخدِّر بدأ يَسري في دمه ...

لم تمضِ لحظة حتى كان «كاريللو» يسقط على الأرض مخدَّرًا ... في نفس اللحظة كان «دينو» يُنادي «كاريللو»: أين أنت؟

لم يَسمع «دينو» ردًّا ... وابتسم «أحمد»، كان «دينو» قد نزل من السيارة يبحث عن «كاريللو» ... وعندما وجده مُمدَّدًا على الأرض، صرخ: إننا نتعامَل مع الشياطين فعلًا!

وعندما بدأ يتحرَّك في اتجاه السيارة ... كان «أحمد» يتجه نفس الاتجاه. وعندما فتح «دينو» باب السيارة، كان «أحمد» يفتح الحقيبة الخلفية ... فاختلط الصوتان معًا ... أغلق «دينو» الباب، فأغلق «أحمد» ... باب الحقيبة أيضًا ... وانطلقت السيارة بسرعة جنونية ...

أخرج «أحمد» جهاز اللاسلكي. فاستمع إلى تلك الرسالة من «ش. ك. س» إلى رقم «واحد» ... المركب معك ... نحن خلفَ الموجة!

ابتسم «أحمد» ... كان أحد الشياطين يتتبَّع «أحمد» من خلال زر الإرسال الذي يضعه في جيبه. أرسل «أحمد» رسالة عاجلة من «ش. ك. س» إلى زميل: السمكة تدخل الحوض.

لم يكن «أحمد» يرى شيئًا في ظلمة الحقيبة الخلفية للسيارة ... ولم يكن يسمع سوى صوت الموتور الذي يدور بأقصى سرعة. وصوت عجلات السيارة التي ترفُّ على الأسفلت كالمروحة.

فتح «أحمد» باب الحقيبة بهدوء، ثم نظر حوله؛ لم يكن يظهر شيء، لكن لفت نظره ذلك الضوء الذي يتقدَّم من بعيد ... في نفس اتجاه السيارة. أخرج جهاز الإرسال ثم أرسل رسالة سريعة: من «ش. ك. س»: الحوت أمامكم. خفِّف العقدة من ٤ إلى واحد.

بعد قليل جاءته رسالة: من «ش. ك. س» إلى رقم «واحد»: الموجة تتَّجه إلى الشاطئ ... دون خوف. فجأة اهتزَّت السيارة اهتزازًا عنيفًا، واصطدمت رأس «أحمد» بجسم السيارة، وانغلق باب الحقيبة. شعر بدوار، ظلَّ يَزداد ويزداد حتى فقد الوعي.

عندما فتح عينَيه رأى وجوهًا غريبة ... لم يُميِّز من بينها سوى «دينو»، كانت رأسه لا تزال تدور، لكن شيئًا فشيئًا، بدأ الدُّوار يخفُّ، ويستعيد يقظتَه كاملة.

فجأةً فُتح باب، ظهر «كاريللو»، تقدم من «أحمد» تعلو وجهه ابتسامة مُخيفة. أمسكه من كتفه وقال: إنني أعرف ألاعيبك جيدًا. لا تظنَّ أنك سوف تُفلت هذه المرة.

ثم تركه ... واتجه إلى رجل ضخم يَجلس على كرسيٍّ عريض ... بدأ «أحمد» يرقب الأشياء حوله ... كانت هناك قاعة فسيحة تكاد تكون خالية ... إلا من ذلك الكرسي الذي

يَجلس عليه الرجل الضخم. وبجواره كرسي آخر، لم يَجلس عليه أحد ... كان يبدو أنه قد أُعدَّ لـ «كاريللو» الذي تقدم من الكرسي ثم جلس عليه، وهو ينظر إلى الرجل الضخم قائلًا: لا بأسَ أيها السيد «مارتيني» ... سوف يكون كل شيء على ما يرام ... إن «مودست» و«شل» يقومان بمهمَّتهما الآن. نظر «كاريللو» في ساعة يده، ثم أكمل كلامه: إنَّ الموعد هو الثانية صباحًا ... سوف يكون كل شيء على ما يرام ... وإلى الأبد ...

نظر «مارتيني» إلى «أحمد» قائلًا: سوف تنفعنا بالتأكيد ... إنك تَحمِل عقلية نادرة.

ابتسم «أحمد» ... لقد عرف أنه لن يموت الآن، وهذا يعطيه فرصة كافية للتفكير. نظر «مارتيني» إلى أحد الرجال وقال: أحضر مقعدًا للسيد الشيطان ... إنه يبدو ولدًا مهذَّبًا ... وإن كان عدوًّا لنا. لكن، يبدو أننا سوف نكون أصدقاء.

ابتسم «أحمد» وقال: بشرط أن تَسمحوا لي ببعض الطعام والراحة.

نظر إليه «مارتيني» وابتسم. ثم حول عينَيه إلى «كاريللو»: ما رأي السيد «كاريللو»؟

كاريللو: هناك مسألة أريد أن أعرفها منه قبل أن يرتاح. ما الذي حدث لي؟

ابتسم «أحمد» وقال: أظنُّ أنني لا أعرف ... هذه مسألة يجب أن يعرفها السيد «كاريللو» نفسه.

هز «كاريللو» رأسه ... وابتسم ابتسامة صفراء، وهو يقول: لا بأس ... إنَّ لنا حديثًا طويلًا معًا. يجب أن ترتاح الآن، حتى تتمكن من الحديث فيما بعد.

تقدم رجلان مسلحان، واصطحبا «أحمد» إلى خارج القاعة.

تقدم في ممر طويل، شاحب الضوء لم يكن هناك شيء سوى هذا الممر الطويل، وأبواب كثيرة على جانبَيه. في نهاية الممر، وقبل الباب الأخير، داس أحد الرجلين على عقب الباب فانفتح ... تقدم «أحمد» ودخل، وأُغلقَ خلفه الباب مباشرةً.

كانت الحجرة غريبة جدًّا؛ فهي مفروشة بفراش وثير، به ثلاجة، ومكتب صغير، وكنبة عريضة تكفي لأن ينام عليها اثنان، وعلى المكتب بعض الأوراق وقلم، وحوض صغير فوقه مرآة ... اتجه «أحمد» إلى الثلاجة مباشرةً ... كانت محشوَّة بكميات وفيرة من الطعام والمثلجات، ابتسم وقال في نفسه: إنها عصابة كريمة ... أخذ بعض المعلبات، وزجاجة مياه غازية، واتجه ناحية المكتب الذي كان قريبًا من الجدار ... تحت النافذة الوحيدة في الحجرة ... تناهى إلى سمعه صوت الموج وارتطامه بالجدار. عرف أنه بجوار البحر مباشرةً. صعد فوق المكتب ونظر من النافذة. كان الظلام قويًّا، حتى إنه لم يرَ شيئًا ... اللهم إلا ضوءًا خافتًا بعيدًا، يتأرجَح على سطح البحر ... توقع أنه ربما تكون إحدى البواخر المارَّة.

أمسك حديد النافذة. واختبرَه ... فوجده قويًّا من الصعب التغلب عليه ... نزل عن المكتب، ثم بدأ يأكل ... حتى شبع. شعر بالرغبة في النوم. فخلع حذاءه. واستلقى على السرير، لم يكد يُغمض عينيه، حتى فُتح الباب، نظر إليه فوجد أحد الرجلين يَبتسم ... قال الرجل: هل من شيء تطلبه؟

ابتسم «أحمد» وقال: شكرًا ... إنكم في مُنتهى الكرم.

خرج الرجل وأغلق الباب، فكر «أحمد» ... إنهم يتعامَلون بطريقة ذكية، لكن ماذا في الغد.

حاول أن يُفكِّر، لكن النوم كان قد غلبه ... غير أن الباب فُتح بهدوء ... فقفز من السرير ... كان الرجل الآخر يقف على الباب مُبتسمًا، وهو يقول: هل تحتاج شيئًا؟

أحمد: شكرًا ... إنني فقط أريد أن أنام.

ابتسم الرجل قائلًا: معذرةً. السيد «مارتيني» هو الذي أرسلني لأطمئن إن كنت تحتاج شيئًا.

أحمد: اشكر لي السيد «مارتيني».

الرجل: معذرةً إن كنت قد أيقظتُك ... إنني أعرف أنك تحتاج إلى الراحة.

أحمد: نعم ...

الرجل: إذن أرجو أن يكون نومك هادئًا.

انسحب الرجل، فألقى «أحمد» بنفسه في السرير ... ولم تمرَّ لحظة، حتى كان قد نام، ولكنه استيقظ على طرقات خفيفة على الباب ... كان يشعر بصداع قوي ... جلس على سريره، ووضع يده على مسدَّسه — لقد نسوا أن يُفتِّشوه — دخل رجل ثالث، كان يبتسم نفس الابتسامة التي رآها للرجلين الآخرين ... ابتسامة لزجة. قال الرجل: معذرةً ... السيد «مارتيني» يريد أن يطمئنَّ عليك، ويُبلغك أنك سوف تتناول معه طعام الفطور.

أحمد: اشكر لي السيد «مارتيني»، وقل له إن ذلك شرفٌ لي، أن أتناول إفطاري معه.

الرجل: ألا تريد شيئًا؟

أحمد: لا شيء.

أغلق الرجل الباب وانصرف. كان الصداع مؤلمًا ... قام «أحمد» يبحث عن شيء يمكن أن يسكن هذا الصداع لكنه لم يجد، ألقى بنفسه في السرير، وحاول أن ينام إلا أن الصداع منعه من النوم ... تقلَّب كثيرًا في السرير، حتى بدأ النوم يُداعِب عينيه ثم فجأة فُتح الباب، لم يستطع «أحمد» أن يتحرك؛ كان مُجهَدًا تمامًا ... غير أنه رأى «مارتيني» بالباب.

جلس في السرير يُحاول أن يتغلَّب على إجهاده، ورغبته الشديدة في النوم. اقترب «مارتيني» مُبتسمًا وهو يقول: معذرةً، لقد أردت أن أطمئن عليك، إنَّني أعرف هؤلاء الرجال ... إنهم يمكن أن يُسيئوا التصرف معك.

عرف «أحمد» أنهم يقصدون تحطيم أعصابه ... وبدأ يُقاوم إحساسه بالتعب.

قال «مارتيني»: يبدو أنكَ غاضب ... هل أغضبك أحد؟

قال «أحمد» بهدوء: إطلاقًا، إنني فقط أريد أن أنام.

ابتسم «مارتيني» وهو يقول: إذن. معذرةً. لقد فكرت أنك ربما كنت ترغب في أن تتحدث قليلًا ... لكن فلنؤجل ذلك إلى الغد.

أحمد: شكرًا.

انسحب «مارتيني» وهو يقول: نومًا طيبًا.

اختفى «مارتيني» فانغلق الباب. فكَّر «أحمد» أنهم لن يتركوه ينام قبل أن يعرف «مارتيني» منه كل ما يريد.

ولكن فجأةً سمع طرقة على الجدار، عند النافذة ... فأسرع إلى هناك وقفز على المكتب ... في نفس اللحظة التي فُتح فيها الباب. نظر خلفه، فوجد «كاريللو» يبتسم ابتسامة بلا معنى، وقال: لعلَّك تشمُّ هواء البحر ... إنه مُنعِش للغاية ... ويجدد النشاط.

أحمد: نعم ... خصوصًا وأنني متعب.

كاريللو: هل تحتاج شيئًا تشربه؟

أحمد: شكرًا ... إنني أريد فقط أن أنام.

ابتسم «كاريللو» قائلًا: يُمكِن أن أُعطيَك شرابًا مخدرًا يجعلك تنام بسرعة ... كذلك المخدر الذي ...

لم يُكمِل «كاريللو» كلامه ... فقد ضحك ضحكة عالية، ثم قال: إذن فلتنَمْ. إن النوم مسألة ضرورية، والإنسان يُمكن أن يُجنَّ إذا لم ينَمْ جيدًا.

استدار «كاريللو» ليخرج، لكنه توقف فجأة، ونظر إلى «أحمد» وقال: على فكرة، البحر تحت النافذة مُباشَرةً ... وحديد النافذة قوي. لكن إذا استطعت أن تتغلَّب عليه وتنزل إلى الماء، فإن الحيتان كثيرة في هذه المنطقة، خصوصًا تلك الحيتان التابعة لنا.

ضحك «كاريللو» ضحكة أخرى كئيبة ثم اختفى.

ظل «أحمد» عند النافذة، يُحاول أن يرى شيئًا، أو يستمع إلى شيء ... إن تلك الطرقات السابقة، يُمكن أن تكون شيئًا ... ملأ رئتَيه من هواء البحر، فشعر بالانتعاش قليلًا. فكَّر

... إن الثلج يمكن أن يُؤثِّر في الصداع فذهب إلى الثلاجة وأخرج زجاجة مثلجة تمامًا، ثم بدأ يمرُّ بها على وجهه، ورأسه. بدأ الصداع يخفُّ قليلًا فأعاد الزجاجة وأخذ طريقه إلى السرير. وعندما استلقى عليه سمع الدقات تحت النافذة مرةً أخرى، نظر إلى النافذة ولم يتحرك ... جاءت الدقات ثانية، وفجأةً ... ظهر وجه خلف القضبان.

الشياطين في مأزق!

كان الوجه غريبًا على «أحمد» ... لكنه كان يَبتسِم ابتسامة طيبة ... فكر: لعله أحد عملاء رقم «صفر» أو ... ولم يجد ما يقوله. فما معنى أن يظهر هذا الوجه وله بالذات. مع أنه توجد عشرات الحجرات على الشاطئ ... في ذلك المكان الغامض ... ظلَّ الوجه الغريب يبتسم ابتسامته الطيبة، ثم قال: اسمع.

نظر «أحمد» إليه في دهشة ... ثم سأله: هل تعرفني؟

هزَّ الرجل وجهه وقال: نعم إنني أعرفك.

أحمد: وماذا تريد؟

الرجل: جئت لكي ...

ولم يكمل الرجل جملته، فقد صرخَ صرخةً مُفزِعة، واختفى. ومرَّت لحظات قبل أن يسمع «أحمد» صوت ارتطام شيء بالماء ... فعرف أن الرجل قد هوى في البحر.

فُتحَ باب الحجرة. ودخل أحد الحراس يتحدَّث بأدب شديد: لا تَنزعِج مما حدث، إن ذلك يَحدُث كثيرًا، ودائمًا ينتهي نفس النهاية ... هل أستطيع أن أقدم لك خدمة ما؟

شكره «أحمد» ... فانصرف. طار النوم من عينيه. كيف ينام وسط ذلك كله. لكنه مع ذلك، تمنَّى لو ينام، وتلك الحركة الذكية من «مارتيني» ودخول الحراس الواحد بعد الآخر، كلما بدأ في النوم فكر بسرعة: إنه لم تَصِله برقيات منذ ساعات ... والمفروض أن يتلقى رسالة ... أخرج جهاز اللاسلكي.

لكن الجهاز كان مُعطَّلًا ربما من صدمة السيارة، حاول أن يُصلحه، لكنه لم ينطق، لحظة ثم دخل «كاريللو» ... فأخفى «أحمد» الجهاز بسرعة ... ابتسم ابتسامة جافة. ثم قال لـ «أحمد»: نسيتُ أن أقول لك شيئًا: إنَّنا لم نَقُم بتفتيشك ... ذلك لأن كل الأجهزة التي تستخدمها تنتهي تمامًا، بمجرد دخولك هذه الحُجرة. إنها مُمغنطة بطريقة تفسد

أي جهاز «إلكتروني» ... فقط أردت أن أقول لك ذلك. تحياتي! أتمنى أن تنام ... لأن النوم هو الفائدة الوحيدة التي يُمكن أن تجنيَها الآن.

خرج «كاريللو» فأغلق الباب. فكر «أحمد» بسرعة، إنَّ هذا حصار غريب. ثم ... ما هي نهاية هذا كله؟!

تذكَّر كلمات «مارتيني» و«كاريللو»، فنظر في ساعة يده، لكنها كانت متوقِّفة أيضًا. خطر له خاطر؛ ما الذي جعل «كاريللو» يدخل في هذه اللحظة بالذات بينما كان يُجرِّب الجهاز؟ لا بدَّ أن الحجرة مراقبة، وأن العدسات السرية تنقل إلى حجرة المُراقبة كل ما يدور فيها.

ابتسم «أحمد» وقال لنفسه: إنها عصابة مجهَّزة تمامًا ... ومستعدَّة لكل شيء.

لم يكن أمامه شيء ... سوى أن يُلقيَ بنفسه على السرير ... ويحاول النوم، أسرع وألقى نفسه فعلًا على السرير، لكن، أين النوم في مثل هذه الساعة ... كان يتمنَّى لو أرسل رسالة إلى الشياطين يقول لهم أين هو ويسألهم أين هم؟ لكن، كيف يستطيع الآن، وقد انقطعت صلته بالعالم تمامًا. دارت رأسه ... إن التعب يكاد يقتله.

انتظر لحظة. ثم جاءت الدقات مرةً أخرى، كانت آتية من نفس المكان، تحت النافذة، قام في هدوء، واتجه إلى النافذة. سمع تلك الكلمات: نحن هنا ... لا تخش شيئًا ... إن المكان محاصر جيدًا.

كان يستمع إلى الكلمات ... ويُحاول أن يميز الصوت الذي يقولها، لكن صوت الموج لم يُعطِه الفرصة، قال فيما يشبه الهمس: من الذي يتكلم؟ ... جاء الرد سريعًا: إنني «مصباح»!

شعر «أحمد» بالراحة. لكنه تذكر ما حدث لصاحب الابتسامة الطيبة، وقوعه في الماء. وتلك الصرخة المفزعة التي أطلَقَها قبل أن يُكمِل كلامه قال بسرعة: رسالة إلى رقم «صفر»: موعد الهجوم الثاني؟

عاد بسرعة إلى السرير، واستلقى فيه. لم تمرَّ لحظة، حتى فتح الباب ... لمح بطرف عينه «كولدر» ... ابتسمَ من أعماقه. وظلَّ كما هو مغمض العينين. اقتربت الخطوات منه ثم سمع صوت «كولدر» الهادئ تمامًا، وكأنه يأتي من مكان بعيد ... هل نمت؟

لم يرد ... اقتربت الخطوات أكثر. حتى كاد يشعر بأنفاس «كولدر» قال: يجب أن تَستيقِظ قليلًا، إن لي معك بعض الأسئلة.

لم يتحرك «أحمد». هزَّه «كولدر» بهدوء ... غير أنَّ «أحمد» لم يردَّ. هزَّه بعنف، ففتَح عينَيه، مُقلِّدًا من يقوم من نومٍ عميق ... ثم نظر إلى «كولدر» قائلًا: مستر «كولدر»! نظر حوله، ثم نظر إلى النافذة ... وقال: هل ما زلنا بالليل؟

ابتسم «كولدر» وقال: لقد انقطعت صلتك حتى بالزمن ... نعم. إننا ما زلنا في الليل.

وقف «أحمد» يُرحِّب به: أهلًا مستر «كولدر» ... إنني لم أرك منذ لحظة المطار ...

ضحك «كولدر» ضحكة باردة ... ثم قال: هل تعرف كم الساعة الآن؟

ابتسم «أحمد» في هدوء وردَّ: لا أظنُّ أنني أعرف ... كم الساعة الآن؟

قال «كولدر» بابتسامة ساخرة: إنها الثانية إلا الربع، هل تعرف ماذا يعني هذا؟

أحمد: لا أظنُّ أنني أعرف، سوى أن ساعتَين قد مرَّتا بعد منتصف الليل.

نظر «كولدر» إلى «أحمد» بإمعان، وظل صامتًا لحظة ثم قال: ألا تعرف حقًّا ماذا يعني هذا؟

أحمد: بالتأكيد لا أعرف.

كولدر: أنت تعرف كل شيء، منذ قابلتك في مطار القاهرة، لقد رأيتُكَ ورأيتُ زميلَيك وهما يتبعان «شل»، لكن أظنُّ أنهما لن يستطيعا شيئًا.

أبدى «أحمد» دهشة مُصطَنعة وقال: الحقيقة أنني لا أدري بالضبط عمَّ تتحدث؟

كولدر: سوف أتركك للصباح ... فلنا حديث طويل، إنني أعرف أنك في حاجة إلى النوم. هزَّ رأسه ثم أكمل: أتمنى لك نومًا ... صمتَ لحظة ثم قال: هادئًا! ابتسم «أحمد» وشكره قائلًا: أرجو حقيقةً أن أنام ... إنني أعرف أنكم في مُنتهى الكرم، ولهذا أرجو أن تعطوني فرصة للنوم.

ضحك «كولدر» ضحكته الباردة؛ لقد عرف أن مقاومة «أحمد» بدأت تضعف ... قال وهو يستدير للخروج: نمْ واستمتِع بكرم «سادة العالم».

ما إن استدار «كولدر» حتى كان «مصباح» يطير في الهواء، ويضربه بقدمه ضربة عنيفة، جعلته يَطير في الهواء ثم يسقط على الأرض. لم يستطع «أحمد» أن يُفكِّر، قفز هو الآخر فوق «كولدر»، ورفعه عن الأرض، ثم هوى بقبضة يده على وجهه ... بضربة جعلت «كولدر» لا يرى شيئًا، ثم يفقد وعيه، أسرع «مصباح» فأوثق يدَيه إلى رجليه. ثم جرَّه إلى تحت السرير، وأخفاه وهو يقول: لقد كنتُ أفكُّ المسامير التي تربط حديد النافذة، وقد استغرق ذلك بعض الوقت.

ثم نظر إلى «أحمد» وقال: الشياطين هنا ... إننا نُسيطِر على كل شيء ... وإن كنا لا نعرف تفاصيل المكان.

أحمد: من معك؟

مصباح: «بو عمير»، و«عثمان»، و«خالد»، و«قيس».

أحمد: وبقية الشياطين؟

مصباح: هناك.

أسرع الاثنان بالخروج من الحجرة ... كانت الإضاءة الخافتة لا تزال تضيء الممر الطويل. فجأة ... أظلمت الدنيا. قال «أحمد»: من الطبيعي أن يَحدث هذا، لا تُشعِل أي شيء حتى لا يعرفوا مكاننا.

تقدَّما معًا ... كانا يَسيران بجوار الحائط ... لم يستمرَّ تقدمهما سوى خطوات ثم أضاء الممرَّ ضوءٌ قوي ... جعلهما لا يَريان شيئًا للحظة، لكنَّهما تعودا الضوء بسرعة ... فرأى «أحمد» في نهاية الممر «مارتيني». كان يقف في وسط الممر وهو يَضحك ضحكة مُخيفة. قال «مارتيني»: إنني لا أستطيع أن أقضيَ عليكما الآن، بعد أن قبضْنا على الباقِين!

نظر «مصباح» إلى «أحمد» الذي قال: إنه صراع الرجال في النهاية ... إن تقضي علينا أو نقضي عليك.

دوت طلقة رصاص في الممر ... ومرَّت بجوار أذن «أحمد» التفَتَ بسرعة. كان «كاريللو» يضحك وقال: هكذا ... يُمكن أن يكون التعامل مع الشياطين.

مارتيني: إنَّني أحتاجهما، لا داعيَ للقضاء عليهما الآن.

لم يَكدْ «مارتيني» ينتهي من جملته، حتى كانت لكمة قوية قد نزلت على رأسه كالصاعقة ... جرى «أحمد» و«مصباح» ودخَلا إلى أقرب حجرة لهما ... في نفس الوقت الذي انطلق الرصاص كالمطر من المدفع الرشاش الذي يَحملُه «كاريللو» ...

عندما استقرا في الحجرة قال «أحمد»: هل أُصبت؟

مصباح: لا.

أحمد: إن «بو عمير» وحدَه بينهما الآن ... يجب أن نُنقِذَه!

تقدم بهدوء من الباب ثم فتحه، فانهالت طلقات الرصاص أغلق الباب بسرعة. قال مصباح: نحن مَسجونان الآن.

أحمد: سنجد طريقة.

أسرع إلى النافذة قرب البحر، ثم أطلق صيحة البومة بأعلى صوتٍ، جاء الرد سريعًا ... نظر «أحمد» إلى «مصباح» وسأل: هل الأربعة داخل المكان؟

مصباح: نعم.

أحمد: من الذي رد إذن؟

لم يَستطِع «مصباح» الإجابة. إن كل ما يعرفه أن الشياطين الخمسة قد دخلوا جميعًا مقر العصابة.

رأى «أحمد» الباب يُفتَح في هدوء ... جرى ووقف خلفه هو ومصباح. ظهرت فوهة رشاش ... ثم تقدَّمت أكثر.

انتظر «أحمد» قليلًا ثم مد يده في هدوء ... وجذب الرشاش جذبة قوية، جعلت «كاريللو» يدخل مُندفِعًا ... فيتلقاه «مصباح» بقدم عاجلة في بطنِه، جعلتْه يتكوَّر على الأرض ... ويئنُّ من قوة الضربة.

أسرع «أحمد» إليه وحمله، ثم دار به دورتين، وتركه فاصطدم بالحائط ... وسقط مغشيًّا عليه ... في نفس اللحظة كان «مصباح» قد حمل الرشاش، وتقدم إلى الباب. عندما خرج، كان «أحمد» قد انتهى من شدِّ وثاق «كاريللو» وتبعه ... لم يكن أحد في الطرقة ... حتى «بو عمير» لم يكن موجودًا. كان الضوء لا يزال يُغطِّي الممر الطويل ... وكان الصمت يُخيِّم على كل شيء.

قال «أحمد»: إننا الآن هدف لأي شيء.

مصباح: فلنَدخُل إحدى الحجرات، وننتظر.

صمت «أحمد» قليلًا. ثم أطلق صيحة البومة مرةً أخرى، ثم فُتحَت الأبواب ...

أسرع «أحمد» ومصباح يَحتميان بإحدى الحجرات لكن كانت المفاجأة أن الشياطين جميعًا هنا، ظهر «بو عمير» و«عثمان» و«خالد» و«قيس» كان كلٌّ منهم يَحمِل سلاحه.

ورغم فرحة «أحمد» باجتماع الشياطين ... إلا أنه في نفس الوقت شعر بالخوف، لا بد أن هناك شيئًا تُدبِّره العصابة. قال: أين «مارتيني»؟

نظر الجميع إلى بعضهم، وسأل «عثمان»: من «مارتيني»؟

نظر «أحمد» إلى «بو عمير» وقال: ذلك الذي ضربته على رأسه في بداية الممر.

ابتسم «بو عمير» وقال: لقد ابتلعته الأرض.

أحمد: كيف؟

بو عمير: عندما ضربته وتهاوى على الأرض، لم أجده وكأنه شيئًا سحريًّا قد خطفه ... اندفعت إلى حجرة أحتمي بها، فقد كان هناك ذلك الرجل الذي يَحمل المدفع الرشاش.

أحمد: تقصد «كاريللو»؟

لم يكن هناك صوت سوى صوت الشياطين وهم يتحدَّثون. وعندما صمتوا ... صمت كل شيء ... قال «أحمد»: ينبغي أن نخرج سريعًا.

كان باب الممر الطويل لا يزال مفتوحًا ... قال «أحمد»: «بو عمير» و«خالد» يُغطِّيان خروجنا، وعندما نصل إلى الباب نَحمي نحن خروجهما.

تقدم «أحمد» و«عثمان» و«قيس» إلى باب الممر ... في نفس الوقت استدار «بو عمير» و«خالد» ليحميا ظهورهم ... كانوا يتقدمون بحذر شديد. فُتح باب ... ثم أغلق في عنف.

اتجهوا جميعًا إلى الباب، موجِّهين أسلحتهم إليه، حتى إذا ظهر أحد ... انقضوا عليه. فلم يظهر أحد، ولكنَّهم سمعوا صوتًا خافتًا فقال «عثمان»: ربما يكون الهواء.

قيس: ربما ... وربما شيء آخر.

بدأ تقدمهم في اتجاه باب الممر ... لم يكن ذلك الصمت الذي يملأ المكان بالشيء المريح ... كانوا ينتظرون شيئًا ما ... ولذلك فإنَّ أحدًا منهم لم يتحدث ... سمعوا من بعيد ... صوت أقدام ... توقفوا لحظة ... كان صوت الأقدام يقترب ... تبيَّنُوا أنه صوت شخص واحد ... وكانت خطواته منتظمة تمامًا، وكأنه في طابور عسكري ... ظلَّت الخطوات تقترب من اتجاه باب الممر ... وفجأة ... أغلق الباب.

جرى «أحمد» إلى الباب سريعًا، ثم ضربه بقدمه لكن الضربة لم تُؤثِّر ... قال «أحمد»: يبدو أننا حُوصِرنا في هذا المكان.

اقتربت الأقدام أكثر، حتى أصبح وقعها كالدقات فوق رءوسهم. وارتفعت ضحكة عالية ... تردَّد صداها في أرجاء الممر، حتى إنَّ الشياطين ظنوا أنهم في مستشفى المجاذيب.

«بو» ... الرجل الحديدي!

انكمَش الشياطين في مكانهم. كانوا ينتظرون، انكشاف تلك اللحظة الغريبة، فبينما كانت الضحكات تتردَّد كانت الأقدام تَقترِب، ثمَّ في النهاية ... فُتح الباب وظهر عملاق حديدي ... توقف الشياطين ينظرون إليه في دهشة ... إنَّ هذه أول مرة يلتقُون فيها بمثل هذا العملاق الغريب ... كانت عيناه الزجاجيتان تنظران إليهم بلا معنًى. مدَّ يدَيه إلى الأمام في جمود، وقال «أحمد»: روبوت ... رجلٌ ميكانيكي.

بو عمير: هذه هي المفاجأة التي أعدَّتها «سادة العالم» لنا؟

عثمان: أعتقد أننا يجب ألا نتحرَّك ... حتى يتحرَّك.

خالد: على كل حال ... لا بد أنه يُوجَّه من خلال شخص آخر.

قيس: أعتقد أن الرصاص لا يؤثر فيه.

كان «أحمد» يَرقُب هذا كله ... وهو يشعر بالثقة ... لأن الشياطين استردُّوا ثقتهم بأنفسهم سريعًا ... وبدءوا ينظرون للموقف دون خوف. قال: أيها الشياطين الأصدقاء إننا أمام تجربة جديدة، وممتازة. إما أن نثبت أننا على مستوى مسئوليتنا أو ... فإننا لا نستحق شرف الانتساب إلى المقر السري.

رفع الشياطين أصابعهم وهم يرسمون علامة النصر.

كان الرجل الآلي ... لا يزال يقف على الباب، فيكاد يُخفيه. فجأة ... سمع الشياطين صوت «مارتيني»، ما رأيكم أيها السادة. أليس الموقف طريفًا الآن؟! لقد كنتُ أتمنَّى أن أضمَّكم لنا خصوصًا وأنكم أولاد طيبون. لكن يبدو أن الحظ لم يُواتِني هذه المرة!

صمت «مارتيني» قليلًا، ثم قال: هل تُريدون أن تعرفوا رئيسكم الغامض مستر «صفر» ... إنني أستطيع أن أقول كل شيء عنه ... فلدينا معلومات كاملة ... خصوصًا بعد أن استولينا على مقركم السري.

نظر الشياطين إلى بعضهم، هل حقيقة ما قال «مارتيني»؟! هل نجحت خطة العصابة واستولت على المقر السري؟ ... وإذا كان ذلك صحيحًا ... فهل قُبض على رقم «صفر»؟!

تمالك «أحمد» نفسه. ثم قال: مستر «مارتيني» إنك تَهزِل لا شك.

ضحك «مارتيني» ضحكة اهتزت لها جنبات المكان، ويبدو أن هناك مكبرات للصوت حتى يعطي كل هذا التأثير ... قال «مارتيني»: يُعجبني فيك أنك تستطيع أن تتمالك أعصابك في الوقت المناسب. إنني أعرف أنك مُتعَب تمامًا، وتتمنَّى لو نمت قليلًا ... ولقد جرَّبنا معك ألا تنام ... حتى تفقد أعصابك ... وكنتُ أرسل لك مرةً كل لحظة من يسألك بأدب إن كنت تريد شيئًا.

ابتسم «أحمد»: لقد كان صحيحًا ما فكر فيه ... أكمل «مارتيني» كلامه: لقد نجحت في الامتحان ... لكن يبدو أنك لن تنجح هذه المرة. إنه امتحان صعب ... صعب لكم جميعًا.

انسحب صوت «مارتيني» وظلَّ الشياطين في انتظار أن يتكلَّم لكنه لم ينطق بعدها حاول الشياطين أن يُحدِّدوا مكان الصوت، لكنهم فشلوا، وأخيرًا تحرَّك الرجل الآلي يدق الأرض بقدميه. قال «أحمد»: فلنتفرَّق حتى لا نقع جميعًا في قبضته، لاحظوا أن كل الأسلحة الإلكترونية التي معنا لا تَصلُح، لقد تعطَّلت تمامًا، داخل هذا المبنى.

كانت خطوة الرجل «الآلي»، متسعة بدرجة لا بد أن يجري أمامها الشياطين. كانوا كالأقزام أمامه. ظل الرجل الآلي يتقدم، فيضطر الشياطين إلى الجري إلى الوراء ... لكن إلى متى!

قال «خالد»: إلى متى نتراجع ... إننا سنصل إلى الجدار وساعتها، سوف يسحقنا تمامًا.

كان الشياطين فعلًا يتراجعون جريًا أمام تلك الخطوات الماردة. كان المارد يسدُّ كل منفذ أمامهم. لكن كان لا بد من تصرف قبل أن يسحقهم جميعًا.

قال «أحمد»: خذوا حذركم، ولا يقع أحدكم في قبضة يده. توقف «قيس» طار في الهواء، ولطمه بقدمه في وجهه، ثم صرخ ... لقد تصوَّر أنه يتعامل مع إنسان. سقط «قيس» على الأرض، يتلوَّى من الألم ... تضايَق «أحمد» وقال: لا بأس لقد رأينا أن التعامل معه بالقوة البدنية لا ينفع. قفز «خالد»، من تحت ذراع الرجل الآلي، كان يمر طائرًا في الهواء. وعندما أصبح خلفه سقط على الأرض، في رشاقة ... صرخ «عثمان» قائلًا: لقد اكتشف «خالد» طريقة للتغلب على الرجل الآلي.

جلجلت في الممرِّ الطويل ضحكات «مارتيني» ... ثم جاء صوته: لم أرَ في حياتي مشهدًا مُضحكًا مثل هذا المشهد.

أصبح الشياطين في نهاية الممرِّ، ولم يكن يَحمي ظهورَهم سوى الحائط، في نفس الوقت ... الذي كان الرجل الآلي يقترب، وقد مدَّ ذراعيه.

التصق الشياطين بالحائط ... وامتدَّت يد الرجل الآلي تُمسِك بعنق «بو عمير» ... حاول أن يبعد عن أصابعه الطويلة، إلا أن الرجل أمسك فعلًا بعنقه ... لم يكن أمام الشياطين ما يُمكن أن يفعلوه ... نظر «أحمد» لحظةً إلى وجه «بو عمير» الذي كان قد بدأ يتقلَّص ... وتخرج عينيه من وجهه.

أخرج «أحمد» من جيبه مفتاحًا للصواميل، ثم قفز إلى كتف الرجل الآلي ... كان هناك صامولة في الذراع وضع «أحمد» المفكَّ فيها، ثم أدار فدارت ... ظلَّ يُدير المفتاح. والذراع تبتعد شيئًا فشيئًا ... وبدأ «بو عمير» يتنفَّس، ويرتدُّ إليه لونه. بينما تراخت ذراع الرجل. جلجلت ضحكة «مارتيني» مرةً أخرى ... بينما كان الشياطين يقفُون في لحظة ذهول من تصرف «أحمد» وتفكيره.

قال «مارتيني»: رائع يا «أحمد»، كنتُ متأكِّدًا أنني سوف أستفيد منك كثيرًا، لقد عرفت نقطة الضعف الوحيدة في العملاق الحديدي. لكننا سنُقدِّم لكم شخصًا آخر. إن ما يحدث معكم هو مجرَّد تجربة ... فخسارة أن نُضحِّي برجالنا ... أنتم يُمكن أن تؤدوا لنا خدمة رائعة، مع تلك المخلوقات الحديدية إنكم تُجرِّبُونها نيابة عنا.

لم يكد «مارتيني» ينتهي من كلامه ... حتى كانت الدنيا تهتزُّ بهم. والباب المفتوح في بداية الممر، بدأ يُظلِم ... ثم فجأة ظهر عملاق حديدي مخيف.

جاء صوت «مارتيني»: ما رأيكم؟ ... لقد تلافينا الخطأ في هذا ... لقد أطلقنا عليه اسم «بو» إنه يعمل كإنسان ... ويتصرَّف، دون أن يتدخل أحد.

كان الرجل الآلي الأول، يقف بجوار الحائط، وكأنه قد هُزم في معركة. في نفس الوقت كان «بو» العملاق الحديدي الآخر ... يقترب من الشياطين ... بعد أن تجاوَز الباب أطلق «بو» صيحة مخيفة ... جعلت الممر الطويل يهتز. تكلم «أحمد» بلغة غريبة ... قال: بحبح نيادلخ خاول وعثمنا أحيد الحجرتا مؤقتان لنير الموفق.

ابتسم الشياطين ... لقد فهموا ما يريد «أحمد». في نفس الوقت، جاء صوت «مارتيني» قاسيًا: ماذا تقولون؟ لم يردَّ أحد، غير أن «أحمد» ابتسم ... ثم قال: إنها تجربة لغوية كتلك التجارب التي تُجرونها ... أيها السيد «مارتيني».

كان «بو» يتقدم ... وبين كل لحظة وأخرى، يتردَّد صياحه الذي يهزُّ كل شيء ... تفرق الشياطين واقتربوا من الأبواب. عند أول باب اختفى «خالد» و«عثمان». قال «أحمد»: لا بأس؟

ضحك «بو عمير» و«قيس» ... وصرخ «مارتيني»: بأي لغة تتحدَّث؟

قال «أحمد»: بلغة الشياطين.

مارتيني: أي لغة تلك؟

أحمد: يمكن أن أعطيك مفرداتها فيما بعد.

تقدم «بو» أكثر ... جرى «أحمد»، وخلع ذراع الرجل الآلي المهزوم ... وتقدم بها ناحية «بو» ... مد «بو» ... يده ثم جذب الذراع غير أن «أحمد» تشبَّث بها ... إلا أن «بو» رفع الذراع، وأحمد معلق بها في الهواء ... ثم دار بها دورتين، وعندما أراد أن يَضرِب بها الأرض، كان «أحمد» قد تركها وطار في الهواء ونزل على الأرض ... برشاقة ... إلا أنَّ الذراع في يد «بو» ... ارتطمت بالأرض، فأحدثت دويًّا هائلًا. قال «أحمد»: ندلخ أحيد الحجرتاتا بسرتع. فاهون بل يستطعي دخوهل، لا إذا حطماه.

ابتسم الشياطين ثم تقدموا بسرعة، ودخلوا إحدى الحجرات، كما قال «أحمد» ... في نفس اللحظة التي كان «بو» يتقدم فيها إلى الحجرة.

ترك الشياطين باب الحجرة مفتوحًا، حتى يرَوا ماذا يُمكن أن يحدث. توقف «بو» قليلًا ثم صرخ صرخة عالية، وأمسك بأعلى الباب، ثم رفعه، فبدأت المباني تتساقَط أسرع الشياطين إلى الخروج ... في نفس اللحظة التي كانت أسلاك الكهرباء، واللمبات تُفرقع مع سقوط الجدران ... وبدأ ضوء شاحب يبدو بعيدًا ... اتجه الشياطين إليه، بعد أن خرج «خالد» و«عثمان» ... عندما سمعا تلك الجلبة العالية.

أسرع الشياطين إلى الباب المفتوح ... والذي يظهر منه ضوء الفجر الشاحب ... بينما كان «بو» يطاردهم وقد أثقلته الأسلاك، والأخشاب، ... وما كاد الشياطين يَقتربُون من الباب ... حتى انهالت طلقات الرصاص عليهم أسرعوا بالانبطاح أرضًا، ثم زحفُوا بسرعة إلى أقرب حجرة ... فاختفوا داخلها. قال «أحمد»: لقد حُوصرنا في حُجرة واحدة.

خالد: يُمكن أن أخرج إلى حجرة أخرى.

بو عمير: وأنا إلى حجرة ثالثة.

عثمان: سنَشتبِك معهم، حتى نحميَ تحرُّكَكم.

خرج «خالد» و«بو عمير» ... زاحفَين، بينما كان «أحمد» و«عثمان» و«قيس» يُغطُّون تحرُّكهم بإطلاق الرصاص في كل الاتجاهات.

تقدم «خالد» عدة خطوات، ثم صرخ: لقد أصبت.

أسرع «عثمان» إليه ... بينما كان «أحمد» و«قيس» يُواصِلان إطلاق الرصاص ... لقد بدا أنها معركة حربية. بعد أن فشلت تجارب العصابة، مع تلك الآلات الحديدية ...

كان «بو» ما زال يتقدَّم في اتجاهِهم، لكن فتحة الباب كانت هي الأمل الوحيد. إنَّ مجرَّد الخروج منها، يَجعلهم أكثر قدرةً على الحركة على الأقل، فسوف تَستعيد أسلحتهم قدرتها على العمل.

كانت حركة الهدم التي حدثَت، وأسلاك الكهرباء التي تقطَّعت فرصة؛ فقد أظلم الممر ... غير أن الذي كان يُضيئه في بعض اللحظات، تلك الطلقات النارية، لكن الشياطين كانوا يتقدمون، وإن كان تقدمهم بطيئًا. خوفًا من الطلقات النارية، وخوفًا من إصابة أحد غير «خالد» ... فقد كان يزحف بصعوبة ... وعثمان يأخذ بيدِه ... فجأة ... غمر الممر ضوء قوي. واختفت تمامًا فتحة الباب، صرخ «أحمد»: الحجرتان؟ ... أسرع الشياطين بدخول حجرة واحدة ...

قيس: من الخطأ أن نُحاصَر جميعًا في غرفة واحدة.

أحمد: لقد ظهر الفجر. فهل استطاع سادة العالم اقتحام الممر السري؟

نظر الشياطين إلى النافذة، كان ضوء الفجر يتسرَّب منها ...

كانت لحظات نادرة؛ الهدوء، والشياطين متعبون، والفجر، وسماء لا تبدو لها نهاية ...

بو عمير: هذا الصمت يعني أن هناك شيئًا.

خالد: المهم مصيرنا الآن! إنني على ثقة من أن «سادة العالم» لم يستطيعوا اقتحام المقر السري.

عثمان: لو استطعنا أن نصل إلى نهاية الممر، وأن نقفز من النافذة فسوف نسقط في المياه.

أحمد: ولكن المنطقة عامرة بأسماك القرش المفترسة.

عثمان: أسماك القرش أفضل من هذا الرجل الحديدي، ومن الأفضل أن ينجو منَّا واحد، بدلًا من أن نهلك جميعًا.

قيس: سنواجه «بو».

خالد: عندي خطة.

التفت إليه الشياطين جميعًا باهتمام، وقال «خالد»: من الممكن استخدام أسلاك الكهرباء العادية في إحداث ماس كهربائي، وما دام «بو» من الحديد فسوف تُعطَّل الأجهزة التي يتحرك بها.

أحمد: إنك ولد رائع، ولكنك جريح.

خالد: ليست مشكلة، هيا افتحوا الباب.

أسرع «عثمان» يفتح الباب، وكان الدمار قد حل بالمكان، وأسلاك الكهرباء منثورة هنا وهناك. وكان «بو» يقف أمام الباب ينظر بعينَيه الجامدتين. ومدى إحدى يديه لأول واحد منهم ... وضربه «بو عمير» بالرصاص في يده ... ولكن شيئًا لم يحدث له ...

وكان «خالد» و«أحمد» قد أمسك كلٌّ منهما بطرفٍ، ثم تقدما من «بو» بشجاعة وهما يزحفان على الأرض ... وأخذ «بو» يَنحني هو الآخر مُحاولًا الإمساك بهما ... وقفز «بو عمير» على ظهره، ودقَّ رأسه بالمدفع الرشاش، وصاح «أحمد»: انزل فورًا.

قفز «بو عمير» في الهواء، في نفس الوقت الذي قام فيه «أحمد» و«خالد» بتوصيل السلك إلى جسد «بو» الحديدي وحدَث ما توقَّعاه تمامًا ... انطلقت الشرارات من جسد «بو» الحديد وبدأ يتآكَل ... وفي نفس الوقت ظلَّ منحنيًا وقد تعطلت حركته تمامًا ...

صاح «أحمد»: هيا بنا، إنها فرصتنا.

أخذ «بو عمير» يطلق الرصاص في كل اتجاه، وهم يجرون جميعًا في الممر الطويل متجهين إلى نهايته.

هل نُسف المقر السري؟

أسرع «عثمان» وقفز إلى النافذة، وأخذ يُطلِق صيحة البومة بسرعة وبقوة، ولم تمرَّ لحظات، حتى سمع «عثمان» طرقًا أسفل النافذة ... نظر الشياطين جميعًا إلى مصدر الصوت.

قال «أحمد»: هل هناك أحد؟

عثمان: نعم ... القارب ...

سمع الشياطين طرقات أخرى، ثم ظهر وجه «فهد». ارتسمت الدهشة على وجه الشياطين ... هل يمكن أن يظهر أحد الشياطين في تلك اللحظة!

قال «فهد»: إننا جاهزون ... بقية الشياطين معي ... وعملاء آخرون.

أحمد: ماذا نفعل الآن؟

فهد: دقيقة واحدة.

اختفى «فهد» لحظة في الوقت الذي ظهر فيه «مارتيني» وبيده مسدَّس!

صرخ «خالد» الذي كان يقف وحده: «مارتيني»!

قفز «قيس» كالصاعقة على «مارتيني» ثم لطَمه بقبضته وانهال عليه باللكمات حتى سقط!

ظهر «فهد» وبيده بعض الآلات ... أعطى بعضها لـ «عثمان» ... ثم قال: ابدأ في خلع القضبان.

أحمد: هناك قروش أسفل النافذة؟

فهد: لقد نظفنا المنطقة تمامًا ببعض الأحماض القاتلة.

صعد «قيس» و«بو عمير» ... بجوار «عثمان»، وبدءوا جميعًا ينزعون قضبان النافذة ... كانت القضبان مثبتة بطريقة لا يُمكِن خلعها.

اختفى «فهد» مرةً أخرى. قال «عثمان»: من الصعب خلع القضبان.

كان «بو» قد بدأ يَسيح من التيار الكهربائي ... وأخذت الغازات تملأ المكان، حتى إن الشياطين لم يستطيعوا التنفس جيدًا ... بدءوا يسعلون بشدة ... لكن «فهد» ظهر من جديد وبيده آلة كهربائية.

قدمها إلى «عثمان» وقال: أليست لديكم فيشة كهربائية في الحائط؟

عثمان: لا أدري، ولكن يُمكن استخدام فيشة الثلاجة.

أخذ الآلة الكهربائية، ثم أسرع إلى الثلاجة، خلع السلك. وثبت سلك «الوابور» ... ثم ضغط الزر، فانطلقت شعلة كهربائية قوية، أسرع إلى قضبان النافذة وسلَّط عليها الشعلة الكهربية. فبدأت تلين حتى انفصلت عن البناء، لم تمض لحظات، حتى كانت النافذة بلا قضبان ... صرخ «عثمان»: هيا يجب أن نخرج من هنا.

أسرع الشياطين ... الواحد بعد الآخر في الخروج من النافذة.

كان هناك سلَّم معلَّق على الجدار. نزل الشياطين عليه بسرعة ... وأسفل السلم كان هناك لنشٌ متوسط الحجم ألقى الشياطين أنفسهم في «اللنش» الذي انطلق بهم بعيدًا.

قال «أحمد»: هل نترك العصابة؟

ضحك «باسم» وقال: نعم؛ سنتركُهم للجحيم.

كان اللنش ينطلق بسرعة رهيبة. ولم تمضِ دقائق، حتى توقَّف اللنش. وقال «باسم»: انظروا ... هذه نهاية العصابة.

ضغط على زر في التابلوه الذي أمامه، فدوى انفجار رهيب، جعل لحظة الفجر كأنها وضح النهار. لحظة ثم ارتفعت ألسنة اللهب ... لقد انفجر مقرُّ العصابة جميعه ...

كان الشياطين يُراقبون ما يحدث، والدهشة تملأ وجوههم.

سأل «أحمد»: ماذا حدث؟

قال «رشيد»: لقد وضعنا حزامًا من المفرقعات حول المقر جميعه ... هذه كل المسألة.

تمطَّى «أحمد» ... ثم قال: إنني في حاجة شديدة إلى النوم. لكن ماذا حدث لمقرنا السري؟

قال «رشيد»: سوف تعرف ذلك ... عندما نصلُ إلى هناك.

لقد تركنا المقرَّ منذ ساعات ... ولم يكن شيء قد حدَث بعد.

نظر «أحمد» إلى «قيس»: إنني لم أعرف ماذا حدث في القاهرة، عندما تبعتُما «شل».

قيس: لم نجده، فإما إنه ضاع منَّا، وإما إنه لم يكن الرجل المقصود.

ألقى «أحمد» نفسه على جانب من جوانب اللنش ... كان الهواء رقيقًا، وضوء النهار هادئًا، مما جعل «أحمد» يستغرق لتوه في النوم.

كان صوت ماكينة اللنش رتيبًا ... فاسترخى الشياطين في هدوء يرقبون طيور «النورس» التي كانت تطير حولهم ... كان منظر «النورس» رائعًا. ظل «بو عمير» يراقبه ثم قال: إنه يذكرني بتلك المسرحية الخالدة للكاتب الشهير «أنطون تشيكوف».

قال «رشيد»: لعلك تقصد مسرحية طائر «النورس»؟

بو عمير: نعم ... لقد قرأتُها مؤخرًا ... وأعجبتني جدًّا.

سكت الجميع، ولم يَكن يُسمع سوى صوت ماكينة اللنش ... الرتيب ... مر وقت طويل واللنش يتهادى على صفحة الماء. وكانت ألسنة اللهب في مقر العصابة، لا تزال تلوح من بعيد.

نظر «عثمان» إلى «أحمد» المستغرق في النوم وابتسم قائلًا: تصوروا أن «أحمد» لم يحرك عضوًا في جسمه منذ رقد.

خالد: لقد تعب تمامًا. أظن أنه لم ينَم منذ أمس.

مرة أخرى، ركنوا إلى الصمت، واستغرقوا في تأمل الأمواج الصغيرة التي تُتابع اللنش وكأنها تطارد بعضها.

لحظة. ثم تقلَّب «أحمد» وفتح عينيه ... ثم أغمضهما بسرعة ... كان الضوء قد أصبح قويًّا، سأل وهو ما زال مغمض العينين: هل سنقطع الرحلة بحرًا؟

رد أحد بحارة اللنش: إننا فقط سوف نرسو في منطقة بعيدة ... وهناك ستجد سيارة في انتظارك.

بدأت ملامح الشاطئ تظهر. وقف الشياطين يرقبون الشاطئ الذي أخذ يقترب، ويقترب، حتى ظهرت سيارة هناك ... صاح «رشيد»: ها هي ... وأشار بيده.

مضى نصف ساعة ثم بدأ اللنش يهدئ من سرعته ... فقد اقترب الشاطئ.

نزل الشياطين بسرعة، فوجدوا أحد الرجال يَبتسِم عندما رآهم. وكان «هاندل» فقال مرحبًا بهم: أبلغكم تحيات رقم «صفر».

حياه الشياطين ثم ركبوا السيارة التي انطلقت بهم. سأل «أحمد»: إلى أين؟

هاندل: إلى «أثينا»، لقضاء عطلة هناك.

أحمد: أتمنَّى أن أعود إلى القاهرة فورًا.

هاندل: أوامر رقم «صفر» ... أن تقضوا إجازة في «أثينا» إننا في موسم الاحتفالات والأعياد، ويُمكن أن تقضوا إجازة رائعة.

صمت الشياطين، ولم يكن يُسمَع سوى صوت السيارة تقطع بهم الطريق، غير أنَّ «أحمد» الذي كان يُفكِّر، قال: ألا تُوجد رسائل من رقم «صفر»؟ أتمنَّى أن أعرف ماذا حدث هناك.

ابتسم الرجل وقال: الرسالة التي وصلتنا كانت تقول: كل شيء على ما يرام ... إجازة طيبة للشياطين. توقفت السيارة أمام فندق فخم، قال «أحمد»: هل ننزل هنا؟

هاندل: نعم ... «هيلتون أثينا».

نزل الشياطين بسرعة ... كانت مفاجأة ...

لقد وجدوا «إلهام» و«هدى» و«زبيدة» و«ريما». تبادل الشياطين التحية بحرارة ... ضحك «أحمد» وقال: اجتماع بعد نصف ساعة في حجرتي.

ضحك الشياطين وقال «باسم»: وأين حجرتك إذن؟

قال «أحمد» مُبتسمًا: هذه مهمة الشياطين.

بعد نصف ساعة كان الجميع حول مائدة الإفطار. سأل «أحمد»: ماذا حدث في المقر السري؟

إلهام: هل تذكر ما قاله رقم «صفر» من أن هناك خطة تُعد، سوف نعرفها فيما بعد؟

أحمد: نعم ... أذكر ذلك.

أخذت «إلهام» تحكي لـ «أحمد» ماذا حدث في المقر السري. لقد أعد مقرًّا مشابهًا تمامًا للمقر الحقيقي ... بكل ما فيه من أجهزة ... واستطاع رقم «صفر» أن يقدم لأفراد العصابة الذين سيقومون بالاستيلاء على المقر، خريطة تُوصلهم إليه، ووقع أفراد العصابة في الفخ، لقد وصلوا إلى المقر المزيف، ومن هناك، بدءوا يرسلون إشارات إلى المقر الرئيسي لهم في اليونان، غير أن هذه الإشارات كانت تصل إلى المقر السري للشياطين أولًا بأول ... فعرفنا كل شيء، عرفنا أين أنتم، وكيف قُبض عليكم ... من خلال الرسائل المتبادلة بين المقر الرئيسي للعصابة والمقر السري المزيف ... لأنَّ نفس الرسائل كانت تصل إلينا ... وعندما عرف رقم «صفر» أن الموقف بالنسبة لكم أصبح سيئًا. أرسل بقية الشياطين إليكم، بالخطة التي نُفِّذت وهي نسف مقر العصابة بمن فيه ... في نفس اللحظة، التي انفجر فيها مقر العصابة، كان هناك انفجار آخر، في المقر المزيف ... وهكذا انتهوا جميعًا.

كان «الشياطين» قد تركوا الأكل وأخذوا ينصتون إلى حديث «إلهام» ... غير أن «أحمد» كان يريد المزيد من التفاصيل. ولذلك قال: ليتني كنت هناك، إنني أريد أن أعرف ما حدث ...

زبيدة: ستعرف بالتأكيد عندما نعود.

انهمك الشياطين في تناول الطعام ... وجاء صديقهم يسأل مبتسمًا: هل كل شيء على ما يرام؟

قيس: نعم ...

هاندل: هل أنتم على استعداد لرحلة خارج «أثينا» الآن؟

نظر الشياطين إلى بعضهم ... ثم نظروا إلى «أحمد». ابتسم «أحمد» وقال: بالرغم من أنني متعب تمامًا وما زلت في حاجة إلى النوم ... إلا أنني في حاجة أيضًا إلى نسيان تلك المغامرة القاتلة ... لقد كان «كابو» هذا كابوسًا.

شعر الشياطين بالنشاط ... لقد كانوا جميعًا في حاجة إلى الانطلاق. انتهوا من طعامهم. وقال الرجل: اللقاء أمام الفندق بعد ربع ساعة.

انصرف الشياطين كلٌّ إلى حجرته ... وعندما دخل «أحمد» وبدأ في خلع ثيابه سمع جهاز الإرسال يزن ... فعرف أن هناك رسالة من رقم «صفر». كانت الرسالة تقول: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» ... أرجو أن تستمتعوا برحلة طيبة.

إن كل الأمور على ما يرام.

رد «أحمد»: من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»: كل الأمور عندنا على ما يرام. تحياتنا!

أبدل ملابسه بسرعة ... ثم خرج إلى حيث تقف السيارة أمام الفندق. كان الشياطين جميعًا هناك.

تحركت السيارة بمجرد أن صعد «أحمد»؛ فقال الرجل: هل نذهب إلى معبد الأكروبول؟

أبدى الشياطين موافقتهم، فانطلقت السيارة، إلى حيث ذلك المعبد الأثري القديم.

سأل «رشيد»: متى يحكي لنا «أحمد» ما حدث؟

ابتسم «أحمد» وقال: في القاهرة ... إننا الآن في رحلة راحة ... ثم ابتسم ثم أكمل كلامه: أو ... تحتاجون إلى مغامرة جديدة؟

ضحك الشياطين. وبدأ الرجل يشرح لهم الطريق الذي تسير فيه السيارة، حتى إذا اقترب معبد الأكروبول، سأل: هل تتناولون الغداء في الهواء أو في الفندق؟

أجمع الشياطين على أن الغداء في الهواء أجمل. قال «عثمان»: نردي الغداء يف الهوأ! ثم انفجر ضاحكًا ...

ضحكت «هدى» وقالت: هذه أسهل لغة عندنا.

أحمد: نعم ... لكن «مارتيني» تصور أننا نتحدث لغة من عالم آخر ... ولو أنه وضع الحرف الأخير في كل كلمة قبل سابقه لأصبح شيطانًا هو الآخر.

وانفجر الشياطين في الضحك ...

هنـــداوي